كتاب

بيانه المحجة

في الرد على اللجنة

تأليف

شيخنا وامامنا ، ناصر السنة ، وقامع البدعة

الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أجزل الله لهم الاجر والثواب آمين

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

وقد وقفه على من ينتفع به من أهل العلم والدين

لا يحل لمن وقع بيده بيعه

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب أجزل الله لهم الاجر والثواب ، وأدخلهم الجنة بغير حساب ولا عذاب :

اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت ملك السموات والارض ومن فيهن ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له (الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً * واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون ، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشوراً) وأشهد ان محمداً عبده ورسوله الذي قال الله تعالى خطابا له (يأيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا) . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً

أما بعد : فاني وقفت على جواب للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن ابي بطين وقد سئل عن أبيات من البردة وما فيها من الغلو والشرك العظيم المضاهي لشرك النصارى ونحوهم ممن صرف خصائص الربوبية والالهية لغير الله تعالى ، كما هو صريح الابيات المذكورة في البردة ، لا يخفى على من عرف دين الاسلام انه الشرك الاكبر الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بالنهي عنه ، وبين انه لا يغفره لمن لم يتب منه ، وان الجنة عليه حرام

وذكر الشيخ رحمه الله في جوابه : أن الابيات المذكورة تضمنت الشرك وصرف خصائص الربوبية والالهية لغير الله . فاعترض عليه جاهل ضال فقال مبرئا لصاحب الابيات من ذلك الشرك بقوله: حماه الله من ذلك، ويكفيه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

* دع ماادعته النصارى في نبيهم *

البيت المطابق لقول النبي ﷺ « لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم

(الجواب) ان هذه التبرئة انما نشأت عن الجهل وفساد التصور ، فلو عرف الناظم وهذا المعترض ومن سلك سبيلهما حق الله على عباده وما اختص به من ربوبيته وإلهيته ، وعرفوا معنى كلام الله وكلام رسوله ﷺ لما قالوا ماقالوا هم وأمثالهم ممن جهل التوحيد ، كما قال تعالى في حق من هذا وصفه (وان كثيراً ليضلون باهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين)

فالجهل بما بعث الله به رسله قد عم كثيراً من هذه الامة وظهر فيها ماأخبر به النبي ﷺ بقوله « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه » قالوا: يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال «فمن؟ » ونحو هذا من الاحاديث

وقوله : ويكفيه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

* دع ماادعته النصارى في نبيهم * البيت

(الجواب) ان هذا يزيده شناعة ومقتا ،لان هذا تناقض منه بين ، وبرهان على انه لايعلم مايقول، فلقد وقع فيما وقعت فيه النصارى من الغلو العظيم الذي نهى الله عنه ورسوله ، ولعن النبي ﷺ من فعله أو فعل مايوصل اليه بقوله « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ماصنعوا . وقال

« لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، انما انا عبد ،فقولوا عبد الله ورسوله» وقوله ـ لما قال له رجل: ماشاء الله وشئت ؟ قال « أجعلتني لله نداً؟ بل ماشاء الله وحده » وقال « انه لايستغاث بي وانما يستغاث بالله عز وجل » فلقدحذر أمته ﷺ وأنذرهم عن الشرك ووسائله ومادق منه وجل ، ودعا الناس إلى التوحيد ونهاهم عن الشرك ، وجاهدهم على ذلك ،حتى أزال الله به الشرك والاوثان من جميع الجزيرة وما حولها من نواحي الشام واليمن وغير ذلك ، وقد بعث السرايا في هدم الاوثان وإزالتها، كما هو مذكور في كتب الحديث والتفسير والسير، كمافي حديث أبي الهياج الاسدي الذي في الصحيح ،قال قال علي بن أبي طالب رضي عنه« ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ ؟أن لا أدع قبرا مشرفا إلاسويته ولا تمثالا إلا طمسته » وقد بعثه النبي ﷺ يوم الفتح لهدم(مناة) وبعث خالد ابن الوليد يومئذ لهدم بيت العزى ، وقطع السمرات التي كانت تعبدها قريش وهذيل،وبعث المغيرة بن شعبة لهدم اللات ، فهدمها . وأزال عن جزيرة العرب وما حولها جميع الاصنام والاوثان التي كانت تعبد من دون الله

والصحابة رضي الله عنهم تعاهدوا هذا الامر واعتنو بازالته أعظم الاعتناء بعد وفاة رسول الله ﷺ . وقدأخبر النبي ﷺ بما يقع في أمته من الاختلاف، كما في حديث العرباض بن سارية قال « فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً » الحديث . فوقع ما أخبر به ﷺ وعظم الاختلاف في أصل الدين بعد القرون المفضلة كما هو معلوم عند العلماء ولو أخذنا نذكر ذلك او بعضه لخرج بنا عن المقصود من الاختصار

فانظر إلى ماوقع اليوم من البناء على القبور والمشاهد وعبادتها ،فلقد عمت هذه البلية كثيراً من البلاد ووقع ماوقع من الشرك وسوء الاعتقاد في أناس

ينسبون إلى العلم . قال سليمان التيمي :لو أخذت بزلة كل عالم لاجتمع فيك الشر كله. فانا لله وانا اليه راجعون

وقوله المطابق لقول النبي « لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم »

(أقول) لاريب ان المطابقة وقعت منه ولا بد، لكنها في المنهي عنه لافي النهي فالذي نهى عنه النبي ﷺ من الاطراء طابقته الابيات من قوله :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك... إلى آخرها

فقد تضمنت غاية الاطراء والغلو الذي وقعت فيه النصارى وأمثالهم فانه قصر خصائص الالهية والربوبية التي قصرها الله على نفسه وقصرها عليه رسوله ﷺ فصرفها لغير الله فان الدعاء مخ العبادة ، والالتجاء من أنواع العبادة

وقد جمع في أبياته الاستعانة والاستغاثة بغير الله ، والالتجاء والرغبة الى غير الله ، فان غاية مايقع من المستغيث والمستعين والراغب انما هو الدعاء والالتجاء بالقلب واللسان ، وهذه هي أنواع العبادة ،ذكرها الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه وشكرها لمن قصرها على الله، ووعده على ذلك الاجابة والاثابة ، كقوله تعالى (هو الحي لا إله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) وقوله (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)الآية .وقوله (وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً * قل انما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً * قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا * قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا) الآيات

فهذا هو الدين الذي بعث الله به نبيه محمدا ﷺ وأمره أن يقول لهم (انما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا) فقصر الدعاء على ربه الذي هو توحيد الالهية . وقال (قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) الى آخر الآيات . وهذا هو توحيد الربوبية، فوحد الله في إلهيته وربوبيته ،وبين للامة ذلك كما أمر الله تعالى

وقال تعالى (فاذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب) أمره بقصر الرغبة على ربه تعالى ، وقال (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين) ونهى عن الاستعاذة بغيره بقوله تعالى عن مؤمني الجن (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا)

واحتج الامام احمد رحمه الله تعالى وغيره على القائلين بخلق القرآن بحديث خولة بنت حكيم مرفوعا «من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات» الحديث — على أن القرآن غير مخلوق إذ لو كان مخلوقا لما جاز أن يستعاذ بمخلوق لان الاستعاذة بالمخلوق شرك . وأمثال ذلك في القرآن والحديث كثير يظهر بالتدبر

وأما قول المعترض : ان النصارى يقولون ان المسيح ابن الله . نعم قاله طائفة منهم ، وطائفة قالوا هو الله ، والطائفة الثالثة قالوا هو ثالث ثلاثة . وبهذه الطرق الثلاث عبدوا المسيح عليه السلام ، فأنكر الله عليهم تلك الاقوال في المسيح ، وأنكر عليهم مافعلوه من الشرك كما قال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحدا ، لا إله الا هو سبحانه عما يشركون)

فأنكر عليهم عبادتهم للمسيح والاحبار والرهبان ، أما المسيح فعبادتهم له بالتأله وصرف خصائص الالهية له من دون الله كما قال تعالى (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك مايكون لي أن اقول ماليس لي بحق) فأخبر أن الالهية وهي العبادة حق لله لا يشركه فيها اولو العزم ولا غيرهم ، يبين ذلك قوله (ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم)

وأما عبادتهم للاحبار والرهبان فانهم اطاعوهم في تحليل ما احلوه لهم من الحرام ، وتحريم ماحرموه من الحلال عليهم

ولما قدم عدي بن حاتم على النبي ﷺ بعد فراره الى الشام ـ وكان قبل مقدمه على النبي ﷺ نصرانياً ـ فلما قدم على النبي ﷺ مسلماً تلا عليه هذه الآية (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) قال: يارسول الله ، لسنا نعبدهم فقال النبي ﷺ « أليسو يحلون لكم ماحرم الله فتحلونه ، ويحرمون عليكم ماأحل الله فتحرمونه؟ » قال: بلى ، قال «فتلك عبادتهم »

ففيه بيان ان من أشرك مع الله غيره في عبادته او أطاع غير الله في معصيته فقد اتخذه رباً ومعبودا وهذا بين بحمد الله

فلو تأمل هذا الجاهل قول الله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله) لعلم ان الله قد انكر على النصارى قولهم وفعلهم . وعلى كل من عبد مع الله غيره بأي نوع من انواع العبادة . لكن هذا وأمثاله كرهوا التوحيد وألفوا الشرك وأحبوه وأحبوا اهله ، فترامى بهم هذا الداء العضال الى ماترى من التخليط والضلال والاستغناء بالجهل ووساوس الشيطان ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، ولا شفاء لهذا الداء العظيم إلا بالتجرد عن الهوى والعصبية والاقبال على تدبر الآيات المحكمات في بيان التوحيد الذي بعث الله به المرسلين كما قال تعالى (يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) ومثل قوله تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) أمره تعالى ان يدعو أهل الكتاب إلى ان يخلصوا العبادة لله وحده ولا يشركوا فيها أحداً من خلقه فانهم كانوا يعبدون أنبياءهم كالمسيح بن مريم ويعبدون أحبارهم ورهبانهم

وتأمل قوله (كلمة سواء بيننا وبينكم) وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ إلى جميع من أرسل اليه كما قال تعالى (قل إني أمرت أن أعبد

الله ولا أشرك به ، اليه أدعو واليه مآب) وقوله (ولا نشرك به شيئا) يعم كل شرك دق أوجل ، كثر او قل

قال العماد ابن كثير في تفسيره : هذا الخطاب مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم وقوله (سواء بيننا وبينكم) أي عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها ، ثم فسرها بقوله (أن لانعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا) لاوثنا ولا صنما ولاصليبا ولا طاغوتا ولا ناراً ولا شيئا ، بل نفرد العبادة لله وحده لاشريك له(قلت) وهذا هو معنى لاإله إلا الله ـ ثم قال : وهذه دعوة جميع الرسل قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لاإله إلا أنا فاعبدون) وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) انتهى المقصود منه

وقال رحمه الله تعالى في تفسير قوله (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) الآية — قال محمد بن اسحاق : حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال ابو رافع القرظي — حين اجتمعت الاحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ، ودعاهم إلى الاسلام ـ: أتريد يا محمد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس أو ذاك تريد منا يا محمد ، واليه تدعونا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله ﷺ « معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله ، مابذلك بعثني ولا بذلك أمرني » أو كما قال ﷺ فأنزل الله عز وجل في ذلك (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله — الى قوله — بعد إذ أنتم مسلمون) قوله (ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) أي ماينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس

اعبدوني من دون الله أي مع الله ، واذا كان هذا لايصلح لنبي ولا لمرسل فلأن لايصلح لاحد من الناس بطريق الاولى والاحرى. ولهذا قال الحسن البصري: لاينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته وذلك ان القوم كان يعبد بعضهم بعضا ، يعني أهل الكتاب وقوله (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) أي لايأمركم بعبادة أحد غير الله لاملك مقرب ، ولا نبي مرسل (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) أي لايفعل ذلك لان من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر ، والانبياء انما يأمرون بالايمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى (وما رسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لاإله إلا أنا فاعبدون) وقال (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟) وقال في حق الملائكة (ومن يقل منهم اني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) انتهى. وهو في غاية الوضوح . وبيان التوحيد ، وخصائص الربوبية والالهية ، ونظائر هذه الآيات كثير في القرآن ، وفي السنة من الاحاديث كذلك

فاذا كان من المستحيل عقلا وشرعا على رسول الله ﷺ هو وجميع الانبياء والمرسلين أن يأمروا أحداً بعبادتهم فكيف جاز في عقول هؤلاء الجهلة أن يقبلوا قول صاحب البردة :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وقد أخلص الدعاء الذي هو مخ العبادة واللياذ الذي هو من أنواع العبادة لغير الله وتضمن اخلاص الرغبة والاستكانة والاستغاثة والالتجاء الى غير الله؟ وهذه هي معظم أنواع العبادة كما أشير الى ذلك في قوله تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) الآية . وقوله (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي

استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا ـ الى قوله ـ قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير) وعن أنس مرفوعا « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي

وقوله :

ان لم تكن في معادي آخذا بيدي فضلا ، والا فقل يازلة القدم

المنافي لقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً * والامر يومئذ لله) وقوله (قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا) وقوله (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعا) الآية

وفي الحديث الصحيح ان النبي ﷺ قال لابنته فاطمة وأحب الناس اليه «يافاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا»

فتأمل ما بين هذا وبين قول الناظم من التضاد والتباين ثم المصادمة منه لما ذكره الله تعالى وذكره رسوله ﷺ كقوله (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) وتأمل ما ذكره العلماء في سبب نزول هذه الآية وأمثال هذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغير . ومن ادعى ذلك فقد افترى على الله كذبا وأضل الناس بغير علم كقوله تعالى (ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون)

وبهذا يعلم ان الناظم قد زلت قدمه، اللهم الا ان يكون قد تاب قبل الوفاة والله أعلم

وأما قوله :

فان من جودك الدنيا وضرتها

فمن المعلوم ان الجواد لا يجود الا بما يملكه ، فمقتضي ذلك الدنيا والآخرة ليست لله بل لغيره ، وان أهل الجنة من الاولين والآخرين لم يدخلهم الجنة الرب الذي خلقهم وخلقها لهم ، بل ادخلهموها غيره (سبحان ربك رب العزة

عما يصفون). وفي الحديث الصحيح « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » قالوا: ولا أنت يارسول الله ؟قل « ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته » وقد قال تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) وقوله تبارك وتعالى (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) وقوله (قل لمن ما في السموات والارض ؟ قل لله) وقوله (وان لنا للآخرة والاولى) فلا شريك لله في ملكه كما لا شريك له في الهيته وربوبيته. والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا

وقوله * ومن علومك علم اللوح والقلم * وهذا أيضاً كالذي قبله لا يجوز ان يقال الا في حق الله تعالى الذي أحاط علمه بكل شيء، كما قال تعالى (عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير) وقال (وما يعزب عن ربك من مثال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) وقوله (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب) وقال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ،ويعلم ما في البر والبحر ،وما تسقط من ورقة الا يعلمها،ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) وقال تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) والآيات في هذا المعنى كثيرة تفوت الحصر

وكل هذه الامور من خصائص الربوبية والالهية التي بعث الله رسله وانزل كتبه لبيانها واختصاصها بالله سبحانه وتعالى دون كل من سواه . وقال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول) كقوله في آية الكرسي (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) الآية . فقد أطلع الله من شاء من من انبيائه ورسله على ما شاء من الغيب بوحيه اليهم

فمن ذلك ما جرى من الامم السالفة وما جرى عليهم كما قال تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) وكذلك

ما تضمنه الكتاب والسنة من أخبار المعاد والجنة والنار ونحو ذلك أطلع الله عليه رسوله والمؤمنين عرفوه من كتاب الله وسنة رسوله وآمنوا به

وأما إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها، وما كان منها وما لم يكن، فذاك الى الله وحده لايضاف إلى غيره من خلقه. فمن ادعى ذلك لغير الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله ﷺ

فما أجرأ هذا القائل على الله في سلب حقه وما أعداه لرسوله ﷺ ولمن تولاه من المؤمنين والموحدين

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - وذكر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ في الاسلام من لايعرف الجاهلية » وهذا لانه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره، ودعا اليه وصوبه وحسنه، وهو لايعرف انه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره او شر منه أو دونه، فتنتقض بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفا، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الاهواء والبدع ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا والله المستعان انتهى.

(قلت) وقد رأينا ذلك والله عيانا من هؤلاء الجهلة الذين ابتلينا بهم في هذه الازمنة، أشربت قلوبهم الشرك والبدع، واستحسنوا ذلك، وأنكروا التوحيد والسنة وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فضلوا وأضلوا

وأما قول الناظم:

* فان لي ذمة منه بتسميتي محمداً * البيت

فهذا من جهله إذ من المعلوم عند كل من له أدنى مسكة من عقل ان الموافقة في الاسم لاتنفع إلا بالموافقة في الدين واتباع السنة. فأولياء الرسول ﷺ أتباعه

على دينه والعمل بسنته ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة . قال تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل — إلى قوله — فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه اولئك هم المفلحون)

وتأمل قصة أبي طالب عم النبي ﷺ وقد كان يحوطه ويحميه وينصره ويجمع القبائل على نصرته ﷺ وحمايته من أعدائه وقد قال في حق النبي ﷺ :

لقد علموا ان ابننا لامكذب لدينا ولا يعنى بقول الاباطل

حدبت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

ولما لم يتبرأ من دين أبيه عبدالمطلب ومات على ذلك ، وقال النبي ﷺ « لاستغفرن لك مالم أنه عنه » أنزل الله سبحانه (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كان أولي قربى من بعد ماتبين لهم انهم أصحاب الجحيم)

فلا وسيلة للعبد إلى نيل شفاعة النبي ﷺ إلا بالايمان به وبما جاء به من توحيد الله واخلاص العبادة له وحده لاشريك له ومحبته واتباعه وتعظيم أمره ونهيه والدعوة إلى ما بعث به من دين الله والنهي عما نهى عنه من الشرك بالله والبدع ومالا فلا. فعكس الملحدون الامر وطلبوا الشفاعة التي بعث الله رسوله ﷺ بالنهي عنها وانكارها ، وقتال أهلها بالشرك ، واحلال دمائهم وأموالهم. وأضافوا إلى ذلك إنكار التوحيد وعداوة من قام به واقتفى أثر النبي ﷺ كما تقدم في كلام شيخ الاسلام رحمه الله تعالى من قوله : ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد. إلى آخر كلامه

وأما قول الناظم :

* ولن يضيق رسول الله جاهك بي * البيت

فهـذا هو الذي ذكر الله عن المشركين من اتخاذهم الشفعاء ليشفعوا لهم ويقربوهم إلى الله زلفى . قال الله تعالى (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص) فهذا هو دين الله الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه . ثم ذكر بعد ذلك دين المشركين فقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون* ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار)

فتأمل كون الله تعالى كفرهم بقولهم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال في آخر هذه السورة (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون *قل لله الشفاعة جميعا) الآية

(قلت) وقد وقع من هؤلاء من اتخاذهم شفعاء بدعائهم وطلبهم ورغبتهم والالتجاء اليهم وهم اموات غافلون عنهم لا يقدرون ولا يسمعون لما طلبوا منهم وأرادوه . وقد اخبر تعالى ان الشفاعة ملكه لا ينالها من اشرك به غيره وهو الذي له ملك السموات والارض كما قال تعالى (ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون* واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) فعاملهم الله بنقيض قصدهم من جميع الوجوه ، وسجل عليهم بالضلال ، ولهذه الآية نظائر كثيرة كقوله (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير *إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشركم ولا ينبئك مثل خبير)

فبين ان دعوتهم غير الله شرك بالله وان المدعو من غيره لا يملك شيئا ، وانه

لا يسمع دعاء الداعي ولا يستجيب له،وان المدعو ينكر ذلك الشرك ويتبرأ منه ومن صاحبه يوم القيامة

فمن تأمل هذه الآيات ،انزاحت عنه بتوفيق الله وفتحه جميع الشبهات ،

ومما يشبه هذه الآية —في حرمان من أنزل حوائجه بغير الله واتخذه شفيعاً من دون الله بتوجيه قلبه وقالبه اليه،واعتماده في حصول الشفاعة عليه، كما قد تضمنه بيت الناظم ـ قول الله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون)

فانظر كيف حرمهم الله الشفاعة لما طلبوها من غيره ، وأخبر أن حصولها مستحيل في حقهم بطلبها في دار العمل من غيره ، وهذه هي الشفاعة التي نفاها القرآن كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقال (وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع)

فهذه الشفاعة المنفية هي التي فيها شرك . وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن فانما ثبتت بقيدين عظيمين : إذن الرب تعالى للشفيع ، ورضاه عن المشفوع له . وهو لا يرضى من الاديان الستة المذكورة في قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) الآية ـ الا الايمان الذي أصله وأساسه التوحيد والاخلاص كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وقال (ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض ـ الى قوله ـ ما من شفيع الا من بعد اذنه)

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ لما ذكر شفاعته قال « وهي نائلة من شاء الله ممن مات لا يشرك بالله شيئا » وقال له ابو هريرة رضي الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال « من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه » قال شيخ الاسلام في هذا الحديث : فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص باذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله

وقد كشفنا بحمد الله بهذه الآيات المحكمات تلبيس هذا المعترض الملبس ولجاجه وافتراءه على الله ورسوله ، فان دعوة غير الله ضلال وشرك ينافي التوحيد، وان اتخاذ الشفعاء انما هو بدعائهم، والالتجاء اليهم ، وسؤالهم أن يشفعوا للداعي وقد نهى الله عن ذلك ، وبين أن الشفاعة له ، فاذا كانت له وحده فلا تطلب إلا ممن هي ملكه ،فيقول: اللهم شفع نبيك في. لانه تعالى هو الذي يأذن للشفيع أن يشفع فيمن يرضى دينه وهو الاخلاص كما تقدم بيانه

وأما قول المعترض : ان المعتزلة احتجوا بالآيات التي فيها نفي الشفاعة على انها لا تقع لأهل الكبائر من الموحدين

فأقول : لاريب ان قولهم هذا بدعة وضلالة ، وأنت ايها المجادل في آيات الله بغير سلطان مع المعتزلة في طرفي نقيض . تقول : ان الشفاعة تثبت لمن طلبها وسألها من الشفيع ، فجعلت طلبها منه موجباً لحصولها ، والقرآن قد نفى ذلك وأبطله في مواضع كثيرة بحمد الله .والحق انها لاتقع إلا لمن طلبها من الله وحده ورغب اليه فيها وأخلص له العبادة بجميع أنواعها

وهذا هو الذي تقع له الشفاعة قبل دخول النار أو بعده إن دخلها بذنوبه ، فهذا هو الذي يأذن الله للشفعاء أن يشفعوا له بما معه من الاخلاص كما صرحت بذلك الاحاديث والله أعلم

وقد قدمنا ما دل عليه الكتاب والسنة أن ما في القرآن من ذكر الشفاعة نفيا

واثباتا فحق لااختلاف فيه بين أهل الحق، فالشفاعة المنفية انما هي في حق المشرك الذي اتخذ له شفيعا يطلب الشفاعة منه فيرغب اليه في حصولها، كما في البيت المتقدم وهو كفر كما صرح به القرآن

وأما الشفاعة التي أثبتها الكتاب والسنة فقد ثبتت للمذنبين الموحدين المخلصين، وهذا هو الذي تظاهرت عليه النصوص واعتقده اهل السنة والجماعة ودانوا به

والحديث الذي أشار اليه المعترض من قوله « انا لها انا لها » لاينافي ماتقرر. وذلك ان الناس في موقف القيامة اذا فزعوا إلى الرسل ليشفعوا لهم إلى الله في اراحتهم من كرب ذلك المقام بالحساب ، وكل ذكر عذره ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث « فيأتوني فأخر بين يدي الله ساجداً ـ او كما قال ـ فاحمده بمحامد يفتحها علي ، ثم يقال : ارفع رأسك وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، قال : فيحدلي حداً فأدخلهم الجنة »

فتأمل كون هذه الشفاعة لم تقع إلا بعد السجود لله ودعائه وحمده والثناء عليه . وقوله « فيحد لي حداً » فيه بيان أن الله هو الذى يحد له

وهذا الذى يقع من الناس يوم القيامة مع الرسل هو من باب سؤال الحي الحاضر ، والتوسل إلى الله بدعائه كما كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ في حياته أن يدعو لهم اذا نابهم شيء كما في حديث الاستسقاء وغيره

ولما توفي الله رسوله ﷺ لم يكونوا يفعلون عند قبره شيئا من ذلك البتة . ففرق أصحاب رسول الله ﷺ وهم أعلم الامة وأفضلها بين حالتي الحياة والممات وكانوا يصلون على النبي ﷺ عند دخول المسجد والخروج منه ، وفي الصلاة والخطب وعند ذكره، امتثالا لقوله ﷺ « لاتجعلوا قبرى عيداً ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني أينما كنتم »

ولما أراد عمر رضي الله عنه أن يستسقي بالناس أخرج معه العباس بن

عبد المطلب رضي الله عنه فقال «اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا » فيدعو ، فلو جاز أن يتوسل عمر والصحابة بذات رسول الله ﷺ بعد وفاته لما صلح منهم ان يعدلوا عن النبي ﷺ إلى عمه العباس فلما عدلوا عنه إلى العباس علم ان التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته لا يجوز في دينهم وصار هذا اجماعا منهم

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك، فقال ابو الحسن القدوري في شرح كتاب الكرخي قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول قال ابو حنيفة لا ينبغي لاحد أن يدعو الله إلا به، وأكره ان يقول بحق فلان او بحق أنبيائك ورسلك أو بحق البيت الحرام . قال ابو الحسن : أما المسئلة بغير الله فتكره في قولهم لانه لاحق لغير الله عليه وانما الحق لله على خلقه

وقال ابن بلدجي في شرح المختار: ويكره أن يدعو الله إلا به فلا يقول أسئلك بفلان او بملائكتك او بانبيائك ونحو ذلك، لأنه لاحق للمخلوق على خالقه ، وما يقول فيه ابو حنيفة وأصحابه أكره كذا هو عند محمد حرام ، وعند ابي حنيفة وابي يوسف هو إلى الحرام أقرب، وجانب التحريم عليه أغلب[1] فاذا قرر الشيطان عنده ان الاقسام على الله به والدعاء به ابلغ في تعظيمه واحترامه وانجع لقضاء حاجته نقله درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه ويوقد عليه القنديل ويعلق عليه الستور ويبني عليه المسجد ، ويعبده بالسجود له والطواف وتقبيله

---

(١) لكن نقل الشافعي في الأم عن أبي يوسف أن الحرام ما كان يطلق عند السلف إلا على ما كان بينا في كتاب الله بلا تفسير ، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: ان السلف ما كانوا يحرمون شيئاً الا بدليل قطعي . نقله عنه ابن مفلح في الآداب الشرعية، وذكر ان في مذهب أحمد روايتين في المسألة الثانية ان التحريم يثبت بالدليل الظني، أيضا اه بالمعنى ونحن نتبع السلف رضي الله عنهم

واستلامه والحج اليه والذبح عنده، ثم ينقله درجة اخرى الى دعاء الناس لعبادته واتخاذه عيداً ومنسكا ، وان ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم ،

قال شيخنا قدس الله روحه : وهذه الامور المبتدعة عند القبور مراتب ، أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس . قال : وهؤلاء من جنس عباد الاصنام، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب، يدعو أحدهم من يعظمه، ويتمثل لهم الشيطان أحيانا وقد يخاطبهم ببعض الامور الغائبة ثم ذكر المرتبة الثانية وهي أن يسأل الله به. قال وهو بدعة باتفاق المسلمين

(والثالثة) أن يظن ان الدعاء عند قبره مستجاب ، أو انه أفضل من الدعاء في المسجد، فهذا أيضا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهي محرمة . وما علمت في ذلك نزاعا بين أئمة الدين، وان كان كثير من الناس يفعل ذلك انتهى

ففرض على كل أحد أن يعلم ما أمر الله ورسوله به من اخلاص العبادة لله وحده، فانه الدين الذي بعثه الله به ، وأن يترك مانهى الله عنه ورسوله ﷺ من الشرك فما دونه كما قال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين) الآية . وأن لا يدين الله تعالى إلا بما دل الدليل على انه من دين الله ، ولا يكون امعة يطير مع كل ريح

فان الناس من أمة محمد ﷺ والامم قبلها قد تنازعوا في ربهم وأسمائه وصفاته وما يجب له على عباده وقد قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)

فيا سعادة من تجرد عن العصبية والهوى والتجأ إلى حصن الكتاب والسنة ، فان العلم معرفة الهدى بدليله ، وما ليس كذلك فجهل وضلال

وأما قول المعترض: فانظر إلى (الشفاء) تجده حكى كفر من قال مثل هذه الكلمه

أي الكلمة التي ذكرها المجيب في معنى قوله (قل إني لا املك لكم ضراً ورشدا) الآيات ذكر عبارة النسفي في معناها وهي قوله : هو اظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب ،أي أنا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر- الى آخر كلامه: اذ من عادة هذا المعترض الجاهل رد الحق والمكابرة في دفعه والغلو المتناهي ، والا فمن المعلوم عند من له معرفة بدين الاسلام ان المجيب انما أتى في جوابه بتحقيق التوحيد ونفي الشرك بالله ، وذلك تعظيم لجانب الرسالة وكان النبي ﷺ ينهى أمته عن كل ما يؤل بهم الى الغلو . ولما قيل له ﷺ : انت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا قال « يأيها الناس قولوا بقولكم او بعض قولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان أنا عبدالله ورسوله ، ماأحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله تعالى »و النبي ﷺ هو أحق الخلق بالتواضع لله وحده سبحانه . وفي الحديث « فانك ان تكلني الى نفسي تكلني الي ضيعة وعورة وذنب وخطيئة ،واني لاأثق الا برحمتك» الحديث. والاحاديث في هذا المعنى كثيرة يخبر بذلك عن نفسه ، ويعترف بذلك لربه ، وهو الصادق المصدوق ، فاذا قال المسلم مثل هذا في حقه ﷺ وأخبر عنه بما أخبر به عن نفسه لم يكن منتقصا له بل هذا من تصديقه والايمان به

قال شيخ الاسلام رحمة الله تعالى : اذا كان الكلام في سياق توحيد الرب ونفي خصائصه عما سواه لم يجز أن يقال هذا سوء عبارة في حق من دون الله من الانبياء والملائكة. فان المقام أجل من ذلك وكل ماسوى الله يتلاشى عند تجريد توحيده ، والنبي ﷺ كان أعظم الناس تقريرا لما يقال على هـذا الوجه ، وان كان نفسه المسلوب، كما في الصحيحين في حديث الافك لما نزلت براءة عائشة من السماء وأخبرها النبي ﷺ بذلك قالت لها أمها: قومي الى رسول الله ﷺ قالت«والله لاأقوم اليه ولا أحمده ولا اياكما، ولا احمد الا الله الذي أنزل براءتي»

فأقرها النبي ﷺ وابوها على هذا الكلام الذي نفت فيه أن يحمدرسول الله ﷺ . وفي رواية « بحمد الله لابحمدك »ولم يقل أحد هذا سوءأدب عليه ﷺ

وأخرج البيهقي بسنده الى محمد بن مسلم سمعت حبان صاحب ابن المبارك يقول: قلت لعبدالله بن المبارك: قول عائشة للنبي ﷺ « بحمد الله لابحمدك »أي لاستعظم هذا ؟ فقال عبدالله : ولت الحمد أهله

وكذلك الحديث الذي رواه الامام احمد بسنده عن الاسود بن سريع ان النبي ﷺ أتي باسير فقال : اللهم اني أتوب اليك ولا أتوب إلى محمد . فقال النبي ﷺ « عرف الحق لأهله »

وهذا المعترض وأمثاله ادعوا تعظيم أمر رسول الله ﷺ بما قد نهى عنه من الغلو والاطراء ، وهضموا ربوبية الله وتنقصوا إلهيته ، وأتوا بزخارف شيطانية، وحاولوا أن يكون حق الله تعالى من العبادة التي خلق لها عباده نهبى بين الاحياء والاموات : هذا يصرفه لنبي، وهذا لملك، وهذا لصالح ،أوغير هؤلاء ممن اتخذوهم أنداداً لله وعبدوا الشياطين بما أمروهم به من ذلك الشرك بالله ، فان عبادتهم للملائكة والانبياء والصالحين انما تقع في الحقيقة على من زينها لهم من الشياطين وأمرهم بها كما قال تعالى (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون)ونحو هذه الآية كثير في القرآن

ولما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ما وقع في زمانه من الشرك بالله قال : وهذا هضم للربوبية وتنقص للالهية وسوء ظن برب العالمين ،وذكر انهم إنما ساووهم بالله في العبادة كما قال تعالى عنهم وهم في النار (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين)

وأما ما ذكره عن خالد الازهري ، فخالد وما خالد؟ أغرك منه كونه شرح

التوضيح والآجرومية في النحو؟ وهذا لا يمنع كونه جاهلا في التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ كما جهله من هو أعلم منه وأقدم منه ممن لهم تصانيف في المعقول كالفخر الرازي وأبي معشر البلخي ونحوهما ممن غلط في التوحيد

وقد كان خالد هذا يشاهد أهل مصر يعبدون البدوي وغيره فما أنكر ذلك في شيء من كتبه ، ولا نقل عنه احد إنكاره ، فلو صح ماذكره خالد من حال الناظم لم يكن جسرا تذاد عنه النصوص من الآيات المحكمات القواطع ، والاحاديث الواضحات البينات كقوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) وقوله (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) وقول النبي ﷺ « من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار »

وقد يستدرج الله اهل الشرك بأمور تقع لهم يظنونها كرامات ـ عقوبة لهم وكثير منها احوال شيطانية أعانوا بها اولياءهم من الانس كما قد يقع كثيراً لعباد الاصنام . وما احسن ما قال بعضهم:

تخالف الناس فيما قد رأوا ورووا وكلهم يدعون الفوز بالظفر
فخذ بقول يكون النص ينصره إما عن الله أو عن سيد البشر

وقد حاول هذا الجاهل المعترض صرف ابيات البردة عما هو صريح فيها نص فيما دلت عليه من الشرك في الربوبية والالهية ومشاركة الله في علمه وملكه، وهي لا تحتمل أن تصرف عما هي فيه من ذلك الشرك والغلو . فما ظفر هذا المعترض من ذلك بطائل، غير انه وسم نفسه بالجهل والضلال والزور والمحال ،ولو سكت لسلم من الانتصار لهذا الشرك العظيم الذي وقع فيه

وأما قول المعترض : ورد في الحديث «لولا حبيبي محمد ماخلقت سمائي ولا ارضي ولا جنتي ولا ناري» فهذا من الموضوعات لا أصل له ، ومن ادعى خلاف ذلك فليذكر من رواه من اهل الكتب المعتمدة في الحديث وأنى له ذلك؟ بل هو

من اكاذيب الغلاة الوضاعين ، وقد بين الله تعالى حكمته في خلق السموات والارض في كثير من سور القرآن كما في الآية التي تأتي بعد وهي قول الله تعالى (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن ، لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما) ولها نظائر تبين حكمة الرب في خلق السموات والارض

وقوله : وكيف ينكر تصرفه في اعطاء احد باذن الله من الدنيا في حياته ، او في الآخرة بعد وفاته؟

(اقول) هذا كلام من اجترأ وافترى وأساء الادب مع الله ، وكذب على رسوله ﷺ ولم يعرف حقيقة الشفاعة ، ولا عرف تفرد الله بالملك يوم القيامة ، وهل قال رسول الله ﷺ او أحد من اصحابه اومن بعدهم من أئمة الاسلام: ان احداً يتصرف يوم القيامة مع الله في ملكه؟ ولو اطلقت هذه العبارة في حق رسول الله ﷺ لا دعاها كلُّ لمعبوده من نبي أو ملك او صالح انه يشفع له اذا دعاه (سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من اولياء) وقال تعالى (يوم يأتي لا تكلم نفس إلا باذنه) الآية وقال (لا يتكلمون إلا من اذن له الرحمن وقال صوابا) وهذا القول الذي قاله هذا الجاهل قد شافهنا به جاهل مثله بمصر ، يقول: الذي يتصرف في الكون سبعة: البدوي والامام الشافعي والشيخ الدسوقي ، حتى أكمل السبعة من الاموات ، هذا يقول : هذا ولي له شفاعة وهذا صالح كذلك ، وقد قال الله تعالى (لينذر يوم التلاق * يومهم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) الى قوله (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) وأي ظلم أعظم من الشرك بالله ودعوى الشريك له في الملك والتصرف؟ وهذا غاية الظلم .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم

فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) نفى الله عما سواه كل مايتعلق به المشركون ، فنفى ان يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا لله ،ولم يبق الا الشفاعة ، فبين انها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ، فالشفاعة التي يظنها المشركون منتفيةٌ كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ انه يأتي فيسجد لربه ويحمده ، لا يبدأ بالشفاعة أولا ، ثم يقال له « ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع » وقال له أبو هريرة رضي الله عنه ، من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لاهل الاخلاص باذن الله ولا تكون لمن اشرك بالله

وحقيقته ان الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له ان يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود . فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة باذنه في مواضع . وقد بين النبي ﷺ انها لا تكون الا لأهل الاخلاص والتوحيد . انتهى

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين : وقد قطع الله الاسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها ، فقال الله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما له فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلالمن أذن له) فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع ـ والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الاربع ، اما مالك لما يريد عابده منه، فان لم يكن مالكا كان شريكا للمالك ، فان لم يكن شريكا له كان معيناً له وظهيراً، فان لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده . فنفى سبحانه المراتب الاربع نفياً مرتباً منتقلا من الأعلى الى الادنى ، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك واثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة باذنه. فكفى بهذه الآية نوراً

وبرهاناً وتجريداً للتوحيد وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ، ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا، فهذا هو الذي يحول بين القلب وفهم القرآن . ولعمر الله ان كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أودونهم وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك ـ إلى ان قال : ومن أنواعه أي الشرك طلب الحوئج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم، وهذا أصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاعن ان يملك لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله ان يشفع له الى الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، فانه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا باذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لاذنه، وإنما السبب لاذنه كمال التوحيد. فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها. وهذه حالة كل مشرك، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله الى النقص بالاموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك به، وأولياءه الموحدين له بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلا هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم ـ قال ـ وما نجا من شرك هذا الشرك الا كبر إلا من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم إلى الله ، واتخذ الله وحده وليه والهه ومعبوده ، فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله واستعانته بالله ، والتجاءه إلى الله ، وأخلص قصده لله متبعا لأمره متطلبا لمرضاته ، اذا سأل سأل الله ، واذا استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل لله وبالله ومع الله. انتهى

فرحم الله هذا الامام وشيخه فلقد بينا حقيقة الشرك وطرقه وما يبطله

وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له « اذا سألت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله » ولم يقل فاسألني أواستعن بي . فقصر السؤال والاستعانة على الله الذي لايستحقه سواه، كما في قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) فمن صرف ذلك لغير الله فقد عصى الله ورسوله وأشرك بالله .

والمعترض كلام ركيك لاحاجة لنا إلى ذكر ما فيه ، وانما نتتبع من كلامه ما يحتاج إلى رده وابطاله كجنس ماتقدم

***

واعلم أنه قال — لما ذكر قول المجيب — : انه لا يجتمع الايمان بالآيات المحكمات ،وتلك الابيات لما بينهما من التنافي والتضاد

قال المعترض أقول :يجتمعان بان يفرد الله بالعبادة ولا يقدح فيه تشفعه باحبابه اليه ،وكيف يحكم عليه بالضلال بمجرد طلبه الشفاعة ممن هو أهل لها كما في الحديث « انا لها انا لها » ومعلوم أن الضلال ضد الحق ؟

(فالجواب) لا يخفى مافي كلامه من التخليط والتلبيس والعصبية المشوبة بالجهل المركب، لايدري ولا يدري انه لايدري

وقد بينا فيما تقدم أن دعوة غير الله ضلال ، وأن اتخاذ الشفعاء الذي أنكره الله تعالى انما هو بدعائهم والالتجاء اليهم والرغبة اليهم فيما أراده الراغب منهم من الشفاعة التي لايقدر عليها إلا الله، وذلك ينافي الاسلام والايمان بلا ريب، فان طلبها من الاموات والغائبين طلب لما لايقدر عليه إلا الله وهو خلاف لما أمر الله به تعالى وارتكاب لما نهى عنه كما تقدم بيانه في معنى قوله تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية وقوله (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) الآية . وقوله (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فطلب الشفاعة من النبي

ﷺ أو غيره بعد وفاته وبعده عن الداعي لايحبه الله تعالى ولا يرضاه ولا رسوله ﷺ وهو التوسل الذي ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى وشيخه رحمه الله تعالى وصرحا بانه شرك ، وللعلامة من أبيات في المعنى وهي قوله :

والشرك فهو توسل مقصوده الز ... لفى من الرب العظيم الشان
بعبادة المخلوق من حجر ومن ... بشر ومن قبر ومن أوثان
والناس في هذا ثلاث طوائف ... مارابع أبداً بذي امكان
احدى الطوائف مشرك بالهه ... فاذا دعاه دعا إلها ثاني
هذا وثاني هذه الاقسام ذ ... لك جاحد يدعو سوى الرحمان
هو جاحد للرب يدعو غيره ... شركا وتعطيلا له قدمان
هذا وثالث هذه الاقسام خير ... الخلق ذاك خلاصة الانسان
يدعو إله الحق لايدعو ولا ... أحداً سواه قط في الاكوان
يدعوه في الرغبات والرهبات وال ... حالات من سر ومن اعلان

وقد أنكر الله ذلك الدعاء على من زعم في الرسل والملائكة ذلك كما قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا)

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وأمه وعزيراً والملائكة فأنكر الله ذلك وقال هؤلاء عبيدى كما أنتم عبيدى ، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ، وهؤلاء الذين نزلت هذه الآية في انكار دعوتهم هم من أوليائه وأحبائه . وقد تقدم ان الدعاء وجميع أنواع العبادة حق لله مختص به كما تقدم في الآيات

والحاصل ان الله تعالى لم يأذن لاحد أن يتخذ شفيعا من دونه يسأله ويرغب اليه ويلتجيء اليه ، وهذا هو العبادة ، ومن صرف من ذلك شيئا لغير الله فقد أشرك مع الله غيره كما دلت عليه الآيات المحكمات ، وهذا ضد افراد الله بالعبادة

وكيف يتصور افراده بالعبادة وقد جعل له العبد ملاذاً ومفزعا سواه ؟فان هذا ينافي الافراد، فاين ذهب عقل هذا وفهمه؟

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى: العبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة . انتهى

وقد تبين أن الدعاء مخ العبادة وهو مما يحبه ويأمر به عباده ،وان يخلصوه له ، وقد تقدم من الآيات مايدل على ضلال من فعل ذلك وكفره

وبهذا يحصل الجواب عن قول المعترض: ان الشفاعة المنفية انما هي في حق الكفار (فنقول) فمن اتخذ معبوداً سوى الله يرجوه او يخافه فقد كفر . وتأمل قول الله تعالى (والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئا وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون * الهكم إله واحد) فبين تعالى ان المخلوق لايصلح أن يدعى من دون الله ، وان من دعاه فقد أشرك مع الله غيره في الالهية،والقرآن من أوله إلى آخره يدل على ذلك ،وكذلك سنة رسول الله ﷺ، ولكن الملحدين محجوبون عن فهم القرآن كما حجبوا عن الايمان بجهلهم وضلالهم واعراضهم عما أنزل الله في كتابه من بيان دينه الذي رضيه لنفسه ورضيه لعباده

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : وحقيقة التوحيد أن يعبد الله وحده ولا يدعى الا هو ،ولا يخشى ولا يتقي إلا هو ، ولا يتوكل الا عليه، ولا يكون الدين الا له ، وأن لاتتخذ الملائكة والنبيون أربابا فكيف بالائمة والشيوخ ؟فاذا جعل الامام والشيخ كانه إله يدعى مع غيبته وموته ، ويستغاث به ويطلب منه الحوائج كان مشبها بالله، فيخرجون عن حقيقة الاسلام الذي أصله شهادة أن لاإله الا الله وأن محمداً رسول الله. انتهى

وثبت عن النبي ﷺ انه قال لابن عباس رضي الله عنهما « اذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » فلو جاز أن يسئل ﷺ لما قصر سؤاله

واستعانته على الله وحده ، وابن عباس من أحق الناس بان يعلمه النبي ﷺ مافيه له منفعة ،فلو جاز صرف ذلك لغير الله لقال : واسألني واستعن بي، بل أتى ﷺ في مقام الارشاد والابلاغ والنصح لابن عمه بتجريد إخلاص السؤال والاستعانة على الله تعالى، فأين ذهبت عقول هؤلاء الضلال عن هذه النصوص؟والله المستعان

وقال الشيخ رحمه الله تعالى: واعلم ان لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين : دعاء العبادة ودعاء المسئلة ، وكل عابد سائل،فكل سائل عابد ، وأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ، واذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب لجلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب، ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الامر ، وان لم يكن هناك صيغة سؤال ، ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة او دعاء مسئلة من الرغب والرهب والخوف والطمع .انتهى

فتبين ان أبيات البردة التي قدمنا الكلام عليها تنافي الحق وتناقضه . وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

وقول المعترض : لاسيما ، والناظم على جانب عظيم من الزهد والورع والصلاح بل وله يد في العلوم كما حكى ذلك مترجموه . وهذا صار كله هباء منثوراً حيث لم يرضوا عنه

(أقول)هذه دعوى تحتمل الصدق والكذب . والظاهر انه لاحقيقة لذلك فانه لايعرف إلا بهذه المنظومة فلو قدر ان لذلك أصلا فلا ينفعه ذلك مع تلك الابيات، لان الشرك يحبط الاعمال كما قال تعالى (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) وقد صار العمل مع الشرك هباء منثورا . قال سفيان بن عيينة« احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل ، فان فتنتهما فتنة لكل مفتون »

فان كان في الرجل عبادة فقد فتن بابياته كثيراً من الجهال،وعبادته ان كانت فلا تمنع كونه ضالا كما يرشد إلى ذلك آخر الفاتحة .قال سفيان ابن عيينة« من فسد

من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى »
فالواجب علينا أن نبين مافي كلامه مما يسخط الله ورسوله من الشرك والغلو

وأماهذا الشخص وأمثاله ممن قدمات فيسعنا السكوت عنه لأنا لاندري ما آل أمره اليه ، وما مات عليه ، وقد عرفت أن كلام خالد الازهري لا حجة فيه ،

وأهل الغلو والشرك ليس عندهم إلا المنامات والاحوال الشيطانية التي يحكيها بعضهم عن بعض كما قال لي بعض علماء مصر : ان شيخاً مشى بأصحابه على البحر وقال: لا تذكروا غيري، وفيهم رجل ذكر الله ، فسقط في البحر، فأخذ بيده الشيخ فقال :ألم أقل لكم لا تذكروا غيري ؟ فقلت :هذه الحكاية تحتمل أحد أمرين لا ثالث لهما ، أحدهما أن تكون مكذوبة مثل أكاذيب سدنة الاوثان . أو أنها حال شيطانية . وأسألك أيها الحاكي لذلك: أيكون فيها حجة على جواز دعوة غير الله؟فأقر وقال :لاحجة فيها على ذلك

والمقصود انه ليس عند الغلاة من الحجة إلا مازخرفوه أو حرفوه أو كذبوه وأما قال الله قال رسوله فهذا بحمد الله كله عليهم لا لهم وما حرفوه من ذلك رد إلى صحيح معناه الذي دل عليه لفظه مطابقة وتضمناً والتزاما ، قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون)

وذكر المعترض حكاية يقول: عن غير واحد من العلماء العظام ـ انهم رأوا النبي ﷺ والمنظومة تنشد بين يديه ـ الى قوله ـ لكن للخصم منع ذلك كله بقوله انهم كفار

(فالجواب) أن يقال : ليس هذا وجه المنع ، وانما وجهه انها حكاية مجهولة عن مجهول ، وهذا من جنس اسناد الاكاذيب . فلو قيل من هؤلاء العظام؟ وما أسماؤهم وما زمنهم؟ وماطبقتهم؟ لم يدر عنهم، وأخبار المجهولين لاتقبل شهادة ولارواية يقظة فكيف إذا كانت أحلاما ؟ والمعترض كثيرا مايحكي عن هيان بن بيان

ثم قال المعترض - على قول المجيب: وطلب الشفاعة من النبي ﷺ ممتنع شرعا وعقلا، قال المعترض - من أين هذا الامتناع ؟ وما دليله من العقل والسمع؟

(فالجواب) أن يقال: معلوم أن دليله من الجهتين لا تعرفه أنت ومن كان مثلك وانما معرفتك في اللجاج، الذي هو كالعجاج الذي يحوم في الفجاج ، أما دليله من السمع فقد تقدم في آيات الزمر ويونس وغيرها، وقد بسطنا القول في ذلك بما يغني عن إعادته فليرجع اليه

وأما دليله من العقل فالعقل الصحيح يقضي ويحكم بما يوافق النقل بأن النجاة والسعادة والفلاح وأسباب ذلك كله لا تحصل إلا بالتوجه الى الله تعالى وحده، وإخلاص الدعاء والالتجاء له واليه ، لان الخير كله بيديه ، وهو القادر عليه ،

وأما المخلوق فليس في يده من هذا شيء كما قال تعالى (مايملكون من قطمير) فتسوية المخلوق بالخالق خلاف العقل كما قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق؟ أفلا تذكرون؟) فالذي له الخلق والامر والنعم كلها منه، وكل مخلوق فقير اليه لا يستغني عنه طرفة عين هو الذي يستحق أن يدعى ويرجى ويرغب اليه ويرهب منه ، ويتخذ معاذا وملاذا ويتوكل عليه ، وقد قال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد)

وقال المفسرون المحققون السلفيون المتبعون في قول الله تعالى (وعلى ربهم يتوكلون) أي لا يرجون سواه ، ولا يقصدون الا إياه ، ولا يلوذون الا بجنابه ولا يطلبون الحوائج الا منه ، ولا يرغبون الا اليه ، ويعلمون انه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وانه المتصرف في الملك وحده لاشريك له لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل جماع الايمان . ذكره العماد ابن كثير في تفسيره

وليتأمل ماذكره الله تعالى عن صاحب يس من قوله (أأتخذ من دونه

آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغني عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون * اني اذاً لفي ضلال مبين) فهذا دليل فطري عقلي سمعي

وأما قول المعترض — : ان قول الناظم : ومن علومك علم اللوح والقلم — : ان « من » بيانية

(فالجواب) انه ليس كما قال بل هي تبعيضية ، ثم لو كانت بيانية فما ينفعه والمحذور بحاله وهو انه يعلم ما في اللوح المحفوظ ، وقد صرح المعترض بذلك فقال : ولاشك انه أوتي علم الاولين والآخرين ، وعلم ما كان وما يكون

(فالجواب) هذه مصادمة لما هو صريح في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بان الاحاطة بما في اللوح المحفوظ علما ليس إلا لله تعالى وحده ، كذلك علم الاولين والآخرين ليس إلا لله وحده ، إلا ما أطلع الله عليه نبيه في كتابه كما قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) فارجل في عمى عن قول الله تعالى (بشيء من علمه) وقال تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير * وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) وقد تقدم لهذه الآيات نظائر

فاحاطة العلم بالموجودات والمعدومات التي وجدت أو ستوجد لله وحده لم يجعل ذلك لاحد سواه ، وقال تعالى (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو) فأسند علم وقت الساعة الى ربه بامره كقوله تعالى (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها * الى ربك منتهاها) وأمثال هذه الآيات مما يدل على أن الله تعالى اختص بعلم الغيب كله إلا ما استثناه بقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) ومن تبعيضية ههنا بلا نزاع

وقد قال الخضر لموسى عليهما السلام «ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا

كما نقص هذا العصفور من هذا البحر» فتأمل هذا وتدبر

وأما قول المعترض وتأويله لقول الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب إلا الله) فتأويل فاسد ، ما قاله أحد غيره ولا يقوله مسلم من أنه يعلم الغيب بتعليم الله له ، والمنفي في الآية أن يعلمه بنفسه بدون أن يعلمه الله ذلك ، فما أجرأ هذا الجاهل على هذا التأويل وما أجهله بالله وبكتابه

(فيقال في الجواب) لا ينفعك هذا التأويل الفاسد إذ لو كان يعلم أحد جميع الغيب بتعليم الله لصدق عليه أن يقال: هذا يعلم الغيب كله الذي يعلمه الله ، فما بقي على هذا لقصر علم الغيب على الله في هذه الآية معنى ، وحصل الاشتراك ، نعوذ بالله من الافتراء على الله وعلى كتابه وخرق ما لم ينزل الله به سلطانا

وأما قوله في قول الناظم :

* إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي * — : ان الاخذ باليد بالشفاعة

(فالجواب) أن حقيقة هذا القول وصريحه طلب ذلك من غير الله فلو صح هذا الحمل فالمحذور بحاله ، لما قد عرفت من أن الاستغاثة بالاموات والغائبين والاستشفاع بهم في أمر هو في يد الله ممتنع حصوله لكونه تأليها وعبادة . وقد أبطله القرآن ، فهذا المعترض الجاهل يدور على منازعة الله في حقه وملكه وشمول علمه والله يجزيه بعمله

وأما قوله (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) فقيل المراد بها الخمس المذكورة في سورة لقمان ، وهذا قبل أن يطلع الله نبيه عليها ، وإلا فقد ذكر عامة أهل العلم أنه لم يتوفاه الله تعالى حتى علمه كل شيء حتى الخمس

(فالجواب) أنظر إلى هذا المفتري الجاهل البليد ، كيف اقتفى أثر صاحب الابيات في جميع ما اختلقه وافتراه وأكثر من الاكاذيب على أهل العلم ؟ في قوله ذكر عامة أهل العلم انه لم يتوفاه الله حتى علمه كل شيء حتى الخمس ؟ فحاشا أهل

العلم الذين يعرفون بانهم أهل العلم من هذه المقالة وعامة أهل العلم بل كلهم على خلاف ماادعاه سلفا وخلفا

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى — في تفسيره الكبير الذي فاق على أكثر التفاسير: ابتدأ تعالى ذكر الخبر عن علمه بمجيء الساعة فقال (إن الله عنده علم الساعة) التي تقوم فيها القيامة لايعلم ذلك أحد غيره (وينزل الغيث) من السماء لايقدر على ذلك أحد غيره (ويعلم مافي الارحام) أرحام الاناث (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) يقول وما تعلم نفس حي ماذا تعمل في غد (وما تدري نفس بأي أرض تموت) يقول وما تعلم نفس حي باى أرض تكون ميتتها (إن الله عليم خبير) يقول إن الذى يعلم ذلك كله هو الله دون كل أحد سواه. وذكر بسنده عن مجاهد (ان الله عنده علم الساعة) قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال امرأتي حبلى: فأخبرني ماذا تلد؟ وبلادنا تحل جدبة فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت فمتى أموت؟ فأنزل الله تعالى (إن الله عنده علم الساعة) إلى آخر السورة. قال فكان مجاهد يقول هن مفاتح الغيب التي قال الله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو)

وأخرج بسنده عن قتادة (إن الله عنده علم الساعة) الآية: خمس من الغيب استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا

وبسنده عن عائشة رضي الله عنها «من قال ان أحداً يعلم الغيب إلا الله فقد كذب» وأعظم الفرية على الله، قال الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب إلا الله)

وبالسند عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله» (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي

أرض تموت ان الله عليم خبير) ثم قال «لا يعلم أحد ما في غد إلا الله، ولا يعلم أحد متى ينزل الغيث إلا الله، ولا يعلم أحد متى قيام الساعة إلا الله، ولا يعلم أحد ما في الارحام إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله»

وبسنده عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت «من حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب» ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «خمس لا يعلمهن إلا الله» (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير) انتهى ما ذكره ابن جرير رحمه الله تعالى

وذكر البغوي في تفسيره حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما المتقدم ثم قال ـ وقال الضحاك ومقاتل: مفاتح الغيب خزائن الارض، وقال عطاء ما غاب عنكم من الثواب، وقيل انقضاء الاجل، وقيل أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم، وقيل ما لم يكن بعد أنه يكون أم لا يكون، وما لا يكون كيف يكون، وما لا يكون ان لو كان كيف يكون. انتهى

(قلت) ولا يعرف عن أحد من أهل العلم خلاف ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات، ونعوذ بالله من مخالفة ما أنزله الله في كتابه وما اخبر به عن نفسه أو أخبر به رسوله ﷺ واجمع العلماء عليه، فان الله استأثر بعلمه عن خلقه ووصف نفسه بانه علام الغيوب، ونعوذ بالله من حال أهل الافتراء والتكذيب.

وأما قوله: ولو ان عبارات أهل العلم مثل البيضاوي وأبي السعود والقسطلاني وأمثالهم تجدي لديكم شيئاً لذكرناها، لكنها تمحى بلفظة واحدة وهي انهم كلهم كفار. أنظر كيف خرج به البغض والتعصب لمذهبه وهواه الى البهت البحت فلا يقبل منهم أحداً ومن هذا حاله فلا حيلة به

(فالجواب) انه ليس للبيضاوي ومن ذكر عبارة تخالف ما قاله السلف والعلماء في معنى الآيات ، ومعاذ الله أن يقول المجيب: ان هؤلاء كفار ، ولا يوجد عن أحد من علماء المسلمين انه كفر أحداً قد مات من هذه الامة ممن ظاهره الاسلام، فلو وجد في كلامه زلة من شرك او بدعة فالواجب التنبيه على ذلك والسكوت عن الشخص، لما تقدم من انا لا ندري ما خاتمته ، واما هؤلاء الذين ذكرهم من المفسرين فانهم من المتأخرين الذين نشئوا في اغتراب من الدين، والمتأخرون يغلب عليهم الاعتماد على عبارات أهل الكلام المخالفة لما عليه السلف وائمة الاسلام من الارجاء ونفي حكمة الله وتأويل صفات الله تعالى وسلب معانيها ما يقارب ما في كشاف الزمخشري، والارجاء والجبر يقابل ما فيه من نفي القدر، وكلاهما في طرفي نقيض ، وكل خالف ما عليه اهل السنة والجماعة في ذلك ، ومعلوم ان صاحب الكشاف اقدم من هؤلاء الثلاثة وارسخ قدما منهم في فنون من العلم ، ومع هذا فقد قال شيخ الاسلام البلقيني : استخرجت ما في الكشاف من دسائس الاعتزال بالمناقيش ، وقال ابو حيان وقد مدح الكشاف وما فيه من لطيف المعنى ثم قال:

ولكنه فيه مجال لناقد ... وزلات سوء قد اخذن المخانقا
فيثبت موضوع الاحاديث جاهلا ... ويعز والى المعصوم ما ليس لائقا
وينسب ابداء المعاني لنفسه ... ليوهم اغماراً وان كان سارقا
ويسهب في المعنى الوجيز دلالة ... بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا
يقوّل فيها الله ما ليس قائلا ... وكان محبا في المخاطب وامقا
ويشتم اعلام الائمة ضلة ... ولا سيما ان اوجوه المضايقا

الى ان قال — :

لئن لم تداركه من الله رحمة ... لسوف يرى للكافرين مرافقا

فاذا كان هذا في تفسير مشهور وصاحبه معروف بالذكاء والفهم فمن دونه من المتأخرين أولى بان لا يتلقى من كلامه بالقبول إلا ماوافق تفسير السلف وقام عليه الدليل ؟

وهـذا المعترض من جهله يحسب أن كل بيضاء شحمة ، يعظم المفضول من الاشخاص والتصانيف ولا يعرف ماهو الافضل . ولو كان له أدنى مسكة من فهم ومعرفة للعلماء ومصنفاتهم لعلم ان أفضل مافي أيدى الناس من التفاسير هذه الثلاثة التي نقلنا منها: تفسير ابي جعفر محمد بن جرير الطبرى، وتفسير الحسين بن مسعود البغوى ، وتفسير العماد اسماعيل بن كثير . فهذه أجل التفاسير ومصنفوها أئمة مشهورون أهل سنة ليسوا بجهمية ولا معتزلة ولا قدرية ولا مجبرة ولا مرجئة بحمد الله

وأكثر مافي هذه التفاسير الاحاديث الصحيحة وآثار الصحابة وأقوال التابعين وأتباعهم، فلا يرغب عنها إلا الجاهلون الناقصون المنقوصون والله المستعان

والمصنفون في التفسير وغيره ـ غير ماذكر المعترض ـ كثيرون، وأحسن من البيضاوى وأبي السعود البحر لابي حيان لأنه كثيراً ماينقل في تفسيره عن السلف والائمة، وكذلك تفسير الخازن

وبالجملة فمن كان من المصنفين ابعد عن تقليد المتكلمين وذكر عباراتهم ويعتمد أقوال السلف فهو الذى ينبغي النظر اليه والرغبة فيه، وعلى كل حال فليس في تفسير البيضاوى وابي السعود وشرح القسطلاني ومواهبه ماينفع هذا الجاهل المفترى، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ

وقول المعترض على قول المجيب: علماؤهم شر من تحت اديم السماء ـ فيقال قد ورد هذا الحديث في اهل العراق، فهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كفار مجوس او فيما يأتي فهذه شناعة على غالب علماء الامة ، ومنهم الامام ابو حنيفة والامام احمد وامثالهم

(فالجواب) ان هذا كلام من لايعقل ولا يفهم شيئا ولا يفرق بين أهل السنة والجماعة ، واهل البدعة والضلالة

ففي الحديث الصحيح ان النبي ﷺ قال « لاتقوم الساعة حتى يعبد فئام من أمتي الاوثان ، ولا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » رواه البرقاني في صحيحه وقد أخبر النبي ﷺ «ان أمته ستفترق كما افترقت اليهود والنصارى، فاليهود افترقت على إحدى وسبعين ، والنصارى على ثنتين وسبعين وهذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة » واول من فارق الجماعة في عهد الصحابة رضي الله عنهم الخوارج قاتلهم علي رضي الله عنه بالنهروان، والقدرية في ايام ابن عمر وابن عباس وأكثر الصحابة موجودون ، ومن دعاتهم معبد الجهني وغيلان القدري الذى قتله هشام بن عبد الملك . كذلك الغلاة في علي الذين خدلهم علي الاخاديد وحرقهم بالنار ، منهم المختار بن ابي عبيد الذى قتله مصعب بن الزبير ادعى النبوة وتبعه خلق كثير

ثم ظهرت فتنة الجهمية واول من أظهرها الجعد بن درهم قتله خالد بن عبدالله القسري، والصحابة رضي الله عنهم والتابعون والائمة متوافرون وقت ظهور مبادىء هذه البدع ،لم يلحقهم من ضلال هذه الفرق شناعة ولا غضاضة، لانهم متمسكون بالكتاب والسنة، منكرون لما خالف الحق

وصح من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » سمعته من نبيكم ﷺ وظهرت بدعة جهم بن صفوان في زمن أبي حنيفة وأنكرها وناظرهم ،وانتشرت في زمان الامام أحمد رحمه الله تعالى والفقهاء وأهل الحديث . وامتحن الامام أحمد فتمسك بالحق وصبر ، وصنف العلماء رحمهم الله تعالى المصنفات الكبار في

الرد على الجهمية القائلين بخلق القرآن ، المعطلين لصفات الملك الديان ، كالامام احمد في رده المعروف ، وابنه عبد الله وعبد العزيز الكناني في كتابه (الحيدة) وأبي بكر الاثرم والخلال وعثمان بن سعيد الدارمي ، وإمام الائمة محمد بن خزيمة ، واللالكائي وأبي عثمان الصابوني وقبلهم وبعدهم ممن لا يحصى ، وهذا كله انما هو في القرون الثلاثة المفضلة

ثم بعدها ظهرت كل بدعة : بدعة الفلاسفة وبدعة الرافضة وبدعة المعتزلة وبدعة المجبرة وبدعة اهل الحلول وبدعة اهل الاتحاد وبدعة الباطنية الاسماعيلية وبدعة النصيرية والقرامطة ونحوهم

وأما اهل السنة والجماعة فيردون بدعة كل طائفة من هؤلاء الطوائف بحمد الله . فالأئمة متمسكون بالحق في كل زمان ومكان ، والبلد الواحد من هذه الامصار يجتمع فيها اهل السنة واهل البدعة ، وهؤلاء يناظرون هؤلاء ويناضلونهم بالحجج والبراهين . وظهر معنى قول النبي ﷺ « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وقال ﷺ « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس » وفي رواية « يصلحون ما أفسد الناس »

وقد صنف العلماء رحمهم الله تعالى في بيان الثنتين والسبعين الفرقة عدة مصنفات وبينوا ما انتحلته كل فرقة من بدعتها المخالفة لما عليه الفرقة الناجية ، وليس على الفرقة الناجية شناعة ولا نقص في مخالفة هذه الفرق لها . وانما ظهر فضل هذه الفرقة بتمسكها بالحق وصبرها على مخالفة هذه الفرق الكثيرة والاحتجاج بالحق ونصرته

وما ظهر فضل الامام أبي حنيفة والامام أحمد ومن قبلهما من الأئمة

ومن بعدهما إلا بتمسكهم بالحق ونصرته وردهم الباطل. وما ضر شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى وأصحابه حين أجلب عليهم أهل البدع وآذوهم بل أظهر الله بهم السنة وجعل لهم لسان صدق في الامة. وكذلك من قبلهم ومن بعدهم، كشيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لما دعا إلى التوحيد وبين أدلته وبين الشرك ومايبطله. وفيه قل الامام العلامة الاديب أبو بكر حسين بن غنام رحمه الله تعالى:

وعاد به نهج الغواية طامسا وقد كان مسلوكا به الناس ترتع
وجرت به نجد ذيول افتخارها وحق لها بالالمعي ترفع
فآثاره فيها سوام سوافر وأنواره فيها تضيء وتسطع

فهذا المعترض لو تصور وعقل لتبين له أن مااحتج به ينقلب حجة عليه

***

وقول المعترض «وإن كان قد ورد في حق أهل الحرمين فهذا ظاهر البطلان، إذ هي مهبط الوحي ومنبع الايمان، ولو قيل ان هذا الحديث وأمثاله وردفي ذم نجد وأهلها فقد ورد في ذمهم أحاديث كثيرة شهيرة منها قوله ﷺ «لايزالون في شر من كذابهم إلى يوم القيامة»

(فالجواب) أن نقول: الاحاديث التي وردت في غربة الدين وحدوث البدع وظهورها لا تختص بمكة والمدينة ولا غيرهما من البلاد، والغالب ان كل بلد لايخلو من بقايا متمسكين بالسنة فلا معنى لقوله: وان كان قد ورد في حق أهل الحرمين. والواقع يشهد لما قلنا

وقد حدث في الحرمين في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم، بل وفي وقت الخلفاء الراشدين ما هو معروف عند أهل العلم مشهور في السير والتاريخ، وأول ذلك مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم وقعة الحرة

المشهورة، ومقتل ابن الزبير في مكة ، وما جرى في خلال ذلك من الفتن، وصارت الغلبة في الحرمين وغيرها لأهل الاهواء ، فاذا كان هذا وقع في خير القرون، فما ظنك فيما بعد حين اشتدت غربة الاسلام وعاد المعروف منكراً والمنكر معروفا؟ نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير؟

***

وأما قوله: اذ هي مهبط الوحي ومنبع الايمان

(فالجواب) ان نقول مهبط الوحي في الحقيقة قلب رسول الله ﷺ كما قال تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) وقال تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) فهذا محل الوحي ومستقره

وقوله : ومنبع الايمان

الايمان ينزل به الوحي من السماء لا ينبع من الارض ، ومحله قلوب المؤمنين، وهذه السور المكية في القرآن معلومة التي نزلت على النبي ﷺ وأكثر من في مكة المشركون وفيها ذمهم والرد عليهم كقوله (وكذب به قومك وهو الحق) وقوله (وهم ينهون عنه وينؤون عنه) وقوله (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ونحو هذه الآيات كما في فصلت والمدثر وغيرهما ثم هاجر النبي ﷺ وأصحابه الى المدينة وأهل الشرك لم يزالوا بها ومنعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من دخولها - بالوحي ، وقاتلوهم ببدر وأحد والخندق، وهم كانوا آخر العرب دخولا في الاسلام، حاشا من هاجر . وكل هذا بعد نزول الوحي

ونحن بحمد الله لا ننكر فضل الحرمين بل ننكر على من أنكره ، ولكن، نقول الارض لا تقدس أحدا وانما يقدس المرء عمله ، فالمحل الفاضل قد يجتمع فيه المسلم والكافر وأهل الحق وأهل الباطل كما تقدم . فأهل الحق يزدادون بالعمل الصالح في المحل الفاضل لكثرة ثوابه ، وأهل الباطل لا يزيدهم ذلك الا شرا ، تعظم فيه

سيئاتهم كما قال تعالى في حرم مكة (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) فاذا كان هذا الوعيد في الارادة فعمل السوء أعظم، فالمعول عليه هو الايمان والعمل الصالح ومحله قلب المؤمن، والناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير، وان شراً فشر

***

وقوله: ولو قيل ان هذا الحديث ورد في ذم نجد وأهلها الى آخره

(فأقول) الذم انما يقع في الحقيقة على الحال لا على المحل ، والاحاديث التي وردت في ذم نجد كقوله ﷺ « اللهم بارك لنا في يمننا ، اللهم بارك لنا في شامنا » قالوا وفي نجدنا قال « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » قيل انه أراد نجد العراق لان في بعض ألفاظه ذكر المشرق ، والعراق شرقي المدينة ، والواقع يشهد له لا نجد الحجاز ، ذكره العلماء في شرح هذا الحديث، فقد جرى في العراق من الملاحم والفتن مالم يجر في نجد الحجاز ، يعرف ذلك من له اطلاع على السير والتاريخ كخروج الخوارج بها الذين قاتلهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكمقتل الحسين وفتنة ابن الاشعث وفتنة المختار وقد ادعى النبوة ، وقتال بني أمية لمصعب بن الزبير وقتله ، وما جرى في ولاية الحجاج بن يوسف من القتال وسفك الدماء وغير ذلك مما يطول عده

وعلى كل حال فالذم يكون في حال دون حال ، ووقت دون وقت بحسب حال الساكن ، لان الذم انما يكون للحال دون المحل وإن كانت الاماكن تتفاضل، وقد تقع المداولة فيها فان الله يداول بين خلقه حتى في البقاع، فمحل معصية في زمن قد يكون محل طاعة في زمن آخر وبالعكس

***

وأما قول المعترض منها قوله ﷺ « لا يزالون في شر من كذابهم »

(فالجواب) هذا من جملة كذبه على رسول الله ﷺ وجهله بالعلم لا يميز

بين الحديث وغيره ، وهذا الكلام ورد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في نفر من بني حنيفة سكنوا الكوفة في ولاية ابن مسعود عليها ، وكانوا في مسجد من مساجدها، فسمع منهم كلمة تشعر بتصديق مسيلمة، فأخذهم عبدالله بن مسعود وقتل كبيرهم ابن النواحة وقال في الباقين «لا يزالون في بلية من كذابهم» يعني ذلك النفر فلا يذم نجد بنفر أحدثوا حدثا في العراق، وقد أفنى الله كل من حضر مسيلمة في القرن الاول ولم يبق بنجد من يصدق مسيلمة الكذاب، بل من كان في اواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم بنجد يكفرون مسيلمة ويكذبونه فلم يبق بنجد من فتنة مسيلمة لا عين ولا اثر . فلو ذم نجد بمسيلمة بعد زواله وزوال من يصدقه لذم اليمن بخروج الاسود العنسي ودعواه النبوة

وما ضر المدينة سكنى اليهود فيها ، وقد صارت مهاجر رسول الله ﷺ وأصحابه ومعقل الاسلام ، وماذمت مكة بتكذيب أهلها الرسول ﷺ وشدة عداوتهم له، بل هي أحب أرض الله اليه ، فاذا كان الامر كذلك فارض اليمامة لم تعص الله وانما ضرت المعصية ساكنيها بتصديقهم كذابهم ، وما طالت مدتهم على ذلك الكفر بحمد الله ، فطهر الله تلك البلاد منهم ، ومن سلم منهم من القتل دخل في الاسلام، فصارت بلادهم بلاد إسلام، بنيت فيها المساجد ، وأقيمت فيها الشرائع ، وعبد الله فيها في عهد الصحابة رضي الله عنهم وبعدهم ، ونفر كثير منهم مع خالد بن الوليد لقتال العجم، فقاتلوا مع المسلمين ، فنال تلك البلاد من الفضل ما نال غيرها من بلاد اهل الاسلام، على انها تفضل على كثير من البلاد بالحديث الذي رواه البخاري في صحيحه ان النبي ﷺ قال وهو بمكة لاصحابه « أريت دار هجرتكم » فوصفها ثم قال « فذهب وهلي الى انها اليمامة او يثرب» ورؤيا النبي ﷺ وحي حق، وكفى بهذا فضلا لليمامة وشرفا لها على غيرها ، فان ذهاب وهله ﷺ في رؤياه اليها لابد أن يكون له أثر في الخير يظهر، فظهر ذلك

الفضل بحمد الله في القرن الثاني عشر ، فقام الداعي بها يدعو الناس الى مادعت اليه الرسل من إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ماسواه ، واقامة الفرائض والعمل بالواجبات ، والنهي عن مواقعة المحرمات ، وظهر فيها الاسلام اعظم من ظهوره في غيرها في هذه الازمان ، ولولا ذلك ماسب هؤلاء نجداً واليمامة بمسيلمة

إذا عرف ذلك فليعلم ان مسيلمة وبني حنيفة انما كفروا بجحودهم بعض آية من كتاب الله جهلا او عناداً ، وهذا المعترض وأمثاله جحدوا حقيقة مابعث الله به رسله من التوحيد الذي دلت عليه الآيات المحكمات التي تفوت الحصر ، وعصوا رسول الله ﷺ بارتكاب مانهى عنه من الغلو والشرك ، فجوزوا أن يدعى مع الله غيره . وقد نهى الله ورسوله عن ذلك في أكثر سور القرآن ، وجوزوا ان يستعان بغير الله . وقد نهى الله ورسوله عن ذلك وجوزوا الالتجاء إلى الغائبين والاموات والرغبة اليهم ، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك أشد النهي وجعلوا له شريكا في ملكه وربوبيته كما جعلوا له شريكا في الهيته ، وجعلوا له شريكا في احاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها . وقد قال تعالى مبينا لما اختص به من شمول علمه (الله يعلم ماتحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال - إلى قوله - له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه) الآيات . وهذه الاصول كلها في الفاتحة

يبين تعالى انه هو المختص بذلك دون كل من سواه ففي قوله (الحمد لله رب العالمين) اختصاص الله بالحمد لكماله في ربوبيته والهيته وملكه ، وشمول علمه وقدرته وكماله في ذاته وصفاته (رب العالمين) هو ربهم وخالقهم ورازقهم ومليكهم والمتصرف فيهم بحكمته ومشيئته ليس ذلك إلا له (مالك يوم الدين) فيه تفرده بالملك كقوله (يوم لاتملك نفس لنفس شيئا * والامر يومئذ لله) وقوله (إياك نعبد

وإياك نستعين) فيه قصر العبادة عليه تعالى بجميع أفرادها وكذلك الاستعانة . وفي (إياك نستعين) أيضا توحيد الربوبية .

وهذه الاصول أيضا في (قل أعوذ برب الناس) فهو ربهم ورازقهم والمتصرف فيهم والمدبر لهم (ملك الناس) هو الذي له الملك كما في الحديث الوارد في الاذكار « لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »

وقوله (اله الناس) هو مألوههم ومعبودهم لامعبود لهم سواه فأهل الايمان خصوه بالالهية ، وأهل الشرك جعلوا له شريكا يألهونه بالعبادة كالدعاء والاستعانة والاستغاثة والالتجاء والرغبة والتعلق عليه ونحو ذلك

وفي (قل يأيها الكافرون) براءة النبي ﷺ من الشرك والمشركين (قل يأيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون - - إلى قوله — لكم دينكم ولي دين) فهذا هو التوحيد العملي وأساسه البراءة من الشرك والمشركين باطنا وظاهراً وفي (قل هو الله أحد) توحيد العلم والعمل

(قل هو الله أحد) يعني هو الواحد الاحد الذي لانظير له ولا وزير ، ولا ند ولا شبيه ولا عديل ، ولا يطلق هذا اللفظ في الاثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله . وقوله (الله الصمد) قال عكرمة عن ابن عباس : يعني الذي يصمد الخلائق اليه في حوائجهم ومسائلهم

(قلت) وفيه توحيد الربوبية وتوحيد الالهية . وقال الاعمش عن شقيق ابي وائل (الصمد) السيد الذي قد انتهى سؤدده ، وقال الحسن أيضاً (الصمد) الحي القيوم الذي لازوال له ، وقال الربيع بن أنس : هو الذي لم يلد ولم يولد ، كأنه جعل ما بعده تفسيراً له ، وقال سفيان عن منصور عن مجاهد (الصمد) المصمت الذي لاجوف له ، قال ابو القاسم الطبراني في كتاب السنة : وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل

وقال مجاهد (ولم يكن له كفواً أحد) يعني لاصاحبة له ،وهذا كما قال تعالى (بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) أي هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه؟ تعالى وتقدس وتنزه

(قلت) فتدبر هذه السورة وما فيها من توحيد الالهية والربوبية وتنزيه الله عن الشريك والشبيه والنظير وما فيها من مجامع صفات كماله ونعوت جلاله ومن له بعض تصور يدرك هذا بتوفيق الله (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

***

وأما قول المعترض على قول المجيب : ونوع الشرك جرى في زمن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى » أقول : هذه البردة متقدمة على زمن شيخ الاسلام ولم ينقل عنه فيها كلمة واحدة

(فالجواب) تقدم البردة على زمن شيخ الاسلام إن كان كذلك فماذا يجدي عليه ؟ وما الحجة منه على جواز الشرك ؟

وأيضا فشهادته هذه على شيخ الاسلام غير محصورة فلا تقبل، وهو لم يطلع إلا على النزر اليسير من كلام شيخ الاسلام ولم يفهم معنى ما اطلع عليه، وهو في شق وشيخ الاسلام في شق، وليس في كلام شيخ الاسلام إلا ما هو حجة على هذا المعترض لكنه يتعلق في باطله بمثل خيط العنكبوت ، فان كان يقنعه كلام شيخ الاسلام رحمه الله تعالى المؤيد بالبرهان فقد تقدم من كلامه ما يكفي ويشفي في تمييز الحق من الباطل . وكلامه رحمه الله تعالى في أكثر كتبه يبين هذا الشرك وينكره ويرده ، كما قد رد على البكري حين جوز الاستغاثة بغير الله . ولا يشك من له أدنى مسكة من عقل وفهم أن كلام صاحب البردة داخل تحت كلام شيخ الاسلام في الرد عليه والانكار

وأنا أورد هنا جوابا لشيخ الاسلام عن سؤال من سأله عن نوع هذا الشرك وبعض أفراده ، فأتى بجواب عام شامل كاف واف

قال السائل : ماقول علماء المسلمين فيمن يستنجد بأهل القبور ويطلب منهم إزالة الالم ، ويقول ياسيدي انا في حسبك ، وفيمن يستلم القبر ويمرغ وجهه عليه ، ويقول قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ ونحو ذلك ؟

(الجواب) الحمد لله رب العالمين ، الدين الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو عبادة الله وحده لاشريك له واستعانته والتوكل عليه ودعاؤه لجلب المنافع ودفع المضار كما قال تعالى (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص) الآيات . وقال (وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً) وقال (فادعوه مخلصين له الدين) وقوله (قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) الآيات

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة قال الله تعالى هؤلاء الذين تدعونهم عبادي يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي) فاذا كان هذا حال من يدعو الانبياء والملائكة فكيف بمن دونهم ؟ قال تعالى (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) الآية . وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)

فبين سبحانه أن من دعي من دون الله من جميع المخلوقات الملائكة والبشر وغيرهم أنهم لايملكون مثقال ذرة في ملكه وانه ليس له شريك في ملكه (له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) وانه ليس له عون كما يكون للملك أعوان وظهراء ، وأن الشفعاء لايشفعون عنده إلا لمن ارتضى فنفى بذلك وجوه الشرك

وذلك ان من دعي من دونه إما ان يكون مالكا وإما أن لايكون مالكا ، واذا لم يكن مالكا فاما أن يكون شريكا ، وإما أن لايكون شريكا ، واذا لم يكن شريكا فاما ان يكون معاونا ، وإما ان يكون سائلا طالبا

فاما الرابع فلا يكون إلا من بعد اذنه ، كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وكما قال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال (ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانو لا يملكون شيئاً ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) وقال (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) وقال (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله — الى قوله — ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون)

فبين سبحانه ان من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا كان كافراً فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشايخ وغيرهم أربابا؟ فلا يجوز ان يقول للملك ولا لنبي ولا لشيخ سواء كان حياً أو ميتاً : اغفر ذنبي وانصرني على عدوي أو اشف مريضي أو ما أشبه ذلك ، ومن سأل ذلك مخلوقاً كائناً من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والانبياء والتماثيل التي يصورونها على صورهم ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه ، قال الله تعالى (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي آلهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب * ما قلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم) الآية ، وقال (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح

ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الها واحداً لا اله إلا هو سبحانه عما يشركون)

وان قال انا أسأله لانه أقرب الى الله مني ليشفع لي لاني اتوسل الى الله به كما يتوسل الى السلطان بخوصه واعوانه ، فهذا من افعال المشركين والنصارى فانهم يزعمون انهم يتخذون احبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم ولذلك اخبر الله عن المشركين انهم قالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) وقد قال سبحانه (ام اتخذوا من دون الله شفعاء — الى قوله — ترجعون) وقال (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تذكرون) وقال (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه)

فبين الفرق بينه وبين خلقه فان من عادات الناس ان يستشفعوا الى الكبير بمن يكرم عليه، فيسأله ذلك الشفيع فيقضي حاجته إما رغبة واما رهبة واما حياء واما غير ذلك ، فالله سبحانه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع ، فلا يفعل إلا ما يشاء ، وشفاعة الشافع عن اذنه والامر كله له ، فالرغبة يجب أن تكون اليه كما قال تعالى (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) والرهبة تكون منه ، قال تعالى (فاياي فارهبون) وقال (فلا تخشوا الناس واخشون) وقد امرنا ان نصلي على النبي ﷺ في الدعاء وجعل ذلك من أسباب اجابة دعائنا ،

وقول كثير من الضلال : هذا اقرب الى الله مني وانا بعيد منه لا يمكن ان ندعوه الا بهذه الواسطة ونحو ذلك ـ هو من قول المشركين ، فان الله تعالى يقول (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني) .

وقد روي ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا : يارسول الله، ربنا قريب فنناجيه، أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت الآية. وقد أمر الله تعالى العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته وأمر كلا منهم أن يقول (اياك نعبد واياك نستعين)

*
* *

ثم يقال لهذا المشرك: أنت اذا دعوت هذا فان كنت تظن انه أعلم بحالك

أو يقدر على اجابة سؤالك أو أرحم بك من ربك ـ فهذا جهل وضلال و كفر . وان كنت تعلم ان الله تعالى أعلم وأقدر وأرحم فلماذا عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره ؟ وان كنت تعلم انه أقرب الى الله منك وأعلى منزلة عند الله منك فهذا حق أريد به باطل ، فانه اذا كان أقرب منك وأعلى درجة فان معناه أن يثيبه، ويعطيه ليس معناه إنك اذا دعوته كان الله يقضي حاجتك أعظم مما يقضيها اذا دعوته أنت ،فانك ان كنت مستحقا للعقاب ورد الدعاء فالنبي والصالح لا يعين على مايكرهه الله ولا يسعى فيما يبغضك اليه،وان لم يكن كذلك فالله أولى بالرحمة والقبول منه .

فان قلت : هذا اذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيب اذا دعوته أنا ، فهذا هو القسم الثاني،وهو ان يطلب منه الفعل ولا يدعوه ، ولكن يطلب أن يدعوله، كما يقال للحي: ادع لي وكما كان الصحابة يطلبون من النبي ﷺ الدعاء فهذا مشروع في الحي . وأما الميت من الانبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول :ادع لنا ولا اسئل لنا ربك ونحو ذلك ،ولم يفعل ذلك احد من الصحابة والتابعين ولا امر به احد من الائمة ولا ورد في ذلك حديث ، بل الذي ثبت في الصحيح انهم لما أجدبوا زمن عمر استسقى بالعباس رضي الله عنهما فقال: اللهم إنا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون ، فلم يجيئوا الى قبر النبي ﷺ قائلين: يارسول الله ادع الله أو استسق لنا ونحن نشكو اليك ماأصابنا ونحو هذا، ولم يقله احد من الصحابة قط، بل هو بدعة ماأنزل الله بها من سلطان، بل كانوا اذا جاءوا عند قبر النبي ﷺ يسلمون عليه ثم اذا ارادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر بل ينحرفون فيستقبلون القبلة ويدعون الله وحده لا شريك له كما كانوا يدعونه في سائر البقاع .

وفي الموطأ وغيره ان النبي ﷺ قال « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ،

اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » وفي السنن أيضاً انه قال « لاتتخذوا قبري عيداً ،وصلوا عليّ حيثما كنتم ، فان صلاتكم تبلغني »

وفي الصحيح انه قال في مرضه الذي لم يقم منه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » يحذر مافعلوا . قالت عائشة رضي الله عنها : ولولا ذلك لأبرز قبره لكن خشي أن يتخذ مسجدا ، وفي سنن ابي داود عنه انه قال « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ولهذا قال العلماء لايجوز بناء المساجد على القبور ، وقالوا: انه لايجوز ان ينذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئاء لا من دراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك، كله نذر معصية ،ولم يقل احد من ائمة المسلمين ان الصلاة عند القبور وفي المشاهد مستحبة ، ولا أن الدعاء هناك افضل ، بل اتفقوا كلهم على ان الصلاة في المساجد وفي البيوت افضل من الصلاة عند قبر لا قبر نبي ولا صالح سواء سميت مشاهد ام لا. وقد شرع الله ذلك في المساجد دون المشاهد ، وقال (ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها)ولم يقل في المشاهد ، وقال تعالى (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وقال (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية

وذكر البخاري في صحيحه والطبري وغيره في تفاسيرهم في قوله تعالى (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا)قالوا :هذه اسماء قوم صالحين في قوم نوح ،فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم طال عليهم الامد فاتخذوا تماثيلهم اصناماً . فالعكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها هو أصل الشرك وعبادة الاوثان،ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ او قبر غيره من الانبياء والصالحين فانه لا يتمسح به ولا يقبله . وليس في الدين ما شرع تقبيله الا الحجر الاسود

وقد ثبت في الصحيحين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : والله اني لأعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع ، ولولا اني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. ولهذا لايسن أن يقبل الرجل ويستلم ركني البيت اللذين يليان الحجر ولا جدران البيت ولا مقام ابراهيم ولا صخرة بيت المقدس ، ولا قبر أحد من الانبياء والصالحين اه

وقال رحمه الله تعالى في الرد على البكري — بعد كلام له سبق: لكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سببا في الامور التي لا يقدر عليها الا الله؟ ومن الذي قال انك اذا استغثت بميت او غائب من البشر ، نبياً كان أو غير نبي، كان ذلك سبباً في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله؟ ومن الذي شرع ذلك وأمر به؟ ومن الذي فعل ذلك من الانبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان ؟فان هذا المقام يحتاج الى مقدمتين : (احداهما) ان هذه اسباب لحصول المطالب التي لا يقدر عليها الا الله (والثانية) ان هذه الاسباب مشروعة لايحرم فعلها ، فانه ليس كل ما كان سبباً كونيا يجوز تعاطيه — إلى أن قال — وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وأمرا ، فانهم مطالبون بالادلة الشرعية على أن الله شرع لخلقه ان يسألوا ميتا او غائبا وأن يستغيثوا به ، سواء كان ذلك عند قبره أو لم يكن عند قبره ، بل نقول: سؤال الميت والغائب نبياً كان او غير نبي من المحرمات المنكرة باتفاق ائمة المسلمين،لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا استحبه احد من ائمة المسلمين ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين ، فان أحدا منهم ما كان يقول إذا نزلت به شدة ، أو عرضت له حاجة لميت يا سيدي فلان أنا في حسبك ، او اقض حاجتي ، كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي

ﷺ بعد موته ولا بغيره من الانبياء ، لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها ، بل ولا اقسم بمخلوق على الله أصلا ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الانبياء ولا قبور غير الانبياء ولا الصلاة عندها . وقد كره العلماء كمالك وغيره ان يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه وذكروا ان هذا من البدع التي لم يفعلها السلف

وأما ما يروى عن بعضهم انه قال : قبر معروف الترياق المجرب ، وقول بعضهم : فلان يدعى عند قبره . وقول بعض الشيوخ : اذا كانت لك حاجة فاستغث بي ، او قال استغث عند قبري ، ونحو ذلك ، فان هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم ، ولكن هذه الامور كلها بدع محدثة في الاسلام بعد القرون الثلاثة المفضلة وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد محدثة في الاسلام ، والسفر اليها محدث في الاسلام لم يكن شيء من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة ، بل ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا — قالت عائشة رضي الله عنها : ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا . وثبت في الصحيح عنه انه قال قبل ان يموت بخمس « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وقد تقدم أن عمر لما أجدبوا استسقى بالعباس فقال : اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون . فلم يذهبوا إلى القبور ولا توسلوا بميت ولا غائب ، بل توسلوا بالعباس وكان توسلهم به توسلا بدعائه كالامام مع المأموم وهذا تعذر بموته

فأما قول القائل : عن ميت من الانبياء والصالحين اللهم اني أسئلك بفلان او بجاه فلان او بحرمة فلان ، فهذا لم ينقل لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا التابعين وقد نص غير واحد من العلماء انه لا يجوز ، فكيف يقول القائل لميت انا أستغيث بك وأستجير بك وانا في حسبك ، او سل لي الله ونحو ذلك ؟

فتبين ان هذا ليس من الاسباب المشروعة لو قدر ان له تأثيراً فكيف اذا لم يكن له تأثير صالح؟ وذلك ان من الناس الذين يستغيثون بغائب او ميت من تتمثل له الشياطين وربما كانت على صورة ذلك الغائب ، وربما كلمته ، وربما قضت له أحيانا بعض حوائجه ، كما تفعل شياطين الاصنام، فان أحداً من الانبياء والصالحين لم يعبد في حياته إذ هو ينهي عن ذلك . وأما بعد الموت فهو لا يقدر ان ينهى فيفضي ذلك إلى اتخاذ قبره وثنا يعبد . ولهذا قال النبي ﷺ « لا تتخذوا قبري عيداً الخ » وقال « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد »

وقال غير واحد من السلف في قوله تعالى (وقالوا لا تذرن آلهتكم) الآية ان هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الامد فعبدوهم. ولهذا المعنى لعن النبي ﷺ الذين اتخذوا قبور الانبياء والصالحين مساجد . انتهى ملخصا

وأخرج ابن ابي شيبة عن ابن الزبير انه رأى قوما يمسحون المقام فقال: لم تؤمروا بهذا ، انما أمرتم بالصلاة عنده

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قول الله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قال : انما أمروا ان يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ، ولقد تكلفت هذه الامة أشياء ما تكلفته الامم قبلها

فاذا كان المعترض يستدل بكلام شيخ الاسلام فهذا صريح كلامه المؤيد بالادلة والبراهين ، وكلام العلماء كمثل كلام شيخ الاسلام في هذا المعنى كثير جداً لو ذكرناه لطال الجواب

واما قول المعترض : بل مدح الصرصري واثنى عليه بقوله : قال الفقيه الصالح يحيى بن يوسف الصرصري في نظمه المشهور

(فالجواب) ان هذا من جملة أكاذيب المعترض على شيخ الاسلام وغيره

وقد كذب على الاقناع والشفاء ، وليس في الكتابين إلا مايبطل قوله . وفي الحديث « ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت » وإلا فكلام شيخ الاسلام في رد مايقوله الصرصري وانكاره موجود بحمد الله

قال رحمه الله تعالى في رده على البكري بعد وجهين ذكرهما :

(الثالث) انه أدرج سؤاله أيضاً في الاستغاثة به وهذا جائز في حياته لكنه أخطأ في التسوية بين المحيا والممات ، وهذا ماعلمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود في كلام بعض الناس مثل الشيخ يحيى الصرصري ففي شعره قطعة ، وكمحمد ابن النعمان وهؤلاء لهم صلاح ودين ولكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الاحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام وليس معهم دليل شرعي ولا نقل عن عالم مرضي ، بل عادة جروا عليها كما جرت عادة كثير من الناس بانه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه ، وأكثر منه من يأتي إلى قبر الشيخ يدعوه ويدعو به ويدعو عنده وهؤلاء ليس لهم مستند شرعي من كتاب أو سنة أو قول عن الصحابة والائمة وليس عندهم إلا قول طائفة أخرى : قبر معروف ترياق مجرب والدعاء عند قبر الشيخ مجاب ونحو ذلك ، ومعهم : أن طائفة استغاثوا بحي أو ميت فرأوه قد أتى في الهواء وقضى بعض تلك الحوائج . وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة والانبياء والصالحين أو الكواكب والاوثان فان الشياطين كثيراً ماتتمثل لهم فيرونها وقد تخاطب أحدهم ولا يراها ، ولو ذكرت ماأعلم من الوقائع الموجودة في زماننا لطال المقال ، وكلما كان القوم أعظم جهلا وضلالا كانت هذه الاحوال الشيطانية عندهم أكثر ، وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو طعام أو لباس أو غير ذلك وهو لايرى أحداً أتاه به فيحسب ذلك كرامة وانما هو من الشيطان وسببه شركه بالله وخروجه عن طاعة الله ورسوله إلى طاعة الشيطان فأضلتهم الشياطين بذلك كما كانت تضل عباد الاصنام . انتهى ماذكره شيخ

الاسلام رحمه الله تعالى من انكاره مافي شعر الصرصري وغيره من هذه الامور الشركية وبيان أسبابها

*
* *

وأما قول المعترض : وفيه توسل عظيم ان لم يزد على قول صاحب البردة لم ينقص عنه .

(فالجواب) ان هذا من عدم بصيرته وكبير جهله ، فان من له أدنى معرفة وفهم يعلم ان بين قول صاحب البردة وقول الصرصري في أبياته تفاوتا بعيدا فقد نبهنا على مايقتضيه كلام صاحب البردة من قصر الالهية والربوبية والملك وشمول العلم على عبد شرفه الله بعبوديته ورسالته ودعوة الخلق الى عبادته وحده وجهاد الناس على ذلك وبلغ الأمة ما أنزله الله تعالى عليه في الآيات المحكمات من تجريد التوحيد والنهي عن الشرك ووسائله كما قدمنا الاشارة اليه

وأما الصرصري ففي كلامه التوسل بالنبي ﷺ والاستغاثة به، لكن لاقصر ولا حصر للاستعانة والاستغاثة في جانب المخلوق ، وقد أنكره شيخ الاسلام رحمه الله تعالى وذكر انه لا دليل من كتاب ولا سنة عليه ولا قال به أحد من الصحابة والتابعين والائمة ، وقد بين رحمه الله تعالى ان استغاثة الحي بالحي انما هو بدعائه وشفاعته. وأما الميت والغائب فلا يجوز أن يستغاث به، وكذلك الحي فيما لايقدر عليه إلا الله، وان اهل الاشراك ليس معهم إلا الجهل والهوى وعوائد نشؤا عليها بلا برهان ، وقد عرفت ان هذا المعترض لم يأت إلا بشبهات واهية وحكايات سوفسطائية أو منامات تضليلية كما قال كعب ابن زهير :

فلا يغرنك مامنت وما وعدت ان الاماني والاحلام تضليل

وليس مع هؤلاء المشركين إلا دعوى مجردة محشوة بالاكاذيب ، وليس معهم بحمد الله دليل من كتاب أو سنة أو قول واحد من سلف الأمة وأئمتها

وقد جئناهم بأدلة الكتاب والسنة وما عليه الصحابة والائمة ولو استقصينا ذكر الأدلة وبسط القول لا احتمل مجلداً ضخما

وسبب الفتنة بقصائد هؤلاء المتأخرين كقصائد البوصيري والبرعي واختيارها على قصائد شعراء الصحابة كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير وغيرهم من شعراء الصحابة رضي الله عنهم ، وفيها من شواهد اللغة والبلاغة مالم يدرك هؤلاء المتأخرون منه عشر المعشار، وما ذاك إلا لان قصائد هؤلاء المتأخرين تجاوزوا فيها الحد الى ما يكرهه الله ورسوله ، فزينها الشيطان في نفوس الجهال والضلال فمالت اليها نفوسهم عن قصائد الصحابة التي ليس فيها إلا الحق والصدق وما قصروا فيها جهدهم عما يصلح أن يمدح به رسول الله ﷺ وتحروا فيها مايرضيه وتجنبوا مايسخطه ﷺ وما نهى عنه من الغلو . فما أشبه هؤلاء بقول أبي الوفاء بن عقيل - وهو في القرن الخامس: لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى أوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم . قال: وهم عندي كفار بهذه الاوضاع - الى آخره

ومما يتعين أن نختم به هذا الجواب فصل ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه ، قال - بعد أن ذكر زيارة الموحدين للقبور وان مقصودها ثلاثة أشياء :

(أحدها) تذكير الآخرة والاعتبار والاتعاظ (الثاني) الاحسان الى الميت وأن لا يطول عهده به فيتناساه ، فاذا زاره وأهدى اليه هدية من دعاء أوصدقة ازداد بذلك سروره وفرحه ، ولهذا شرع النبي ﷺ للزائر أن يدعو لاهل القبور بالمغفرة والرحمة ويسأل لهم العافية فقط، ولم يشرع أن يدعو هم ولا يدعو بهم ولا يصلي عندهم (الثالث) احسان الزائر الى نفسه باتباع السنة والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ

وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عباد الاصنام ، قالوا: الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله تعالى لايزال تأتيه الالطاف من الله تعالى وتفيض على روحه الخيرات ، فاذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء على الجسم المقابل له، قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله واقباله عليه بحيث لايبقى فيه التفات الى غيره . وكلما كان جمع القلب والهمة عليه أعظم كان أقرب الى الانتفاع به .

وقد ذكر هذه الزيارة ابن سينا والفارابي وغيرهما وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها ، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعيادا وتعليق الستور عليها وايقاد السرج وبناء المساجد عليها، وهو الذي قصد رسول الله ﷺ ابطاله ومحوه بالكلية وسد الذرائع المفضية اليه ، فوقف المشركون في طريقه وناقضوه في قصده . وكان رسول الله ﷺ في شق وهؤلاء في شق ، وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور والشفاعة التي ظنوا ان آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله ، قالوا فان العبد اذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله وتوجه بهمته اليه وعكف بقلبه عليه صار بينه وبينه اتصال يفيض عليه نصيب مما يحصل له من الله ، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان وهو شديد التعلق به فما يحصل لذلك من السلطان من الانعام والافضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به ، فهذا سر عبادة الاصنام ، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بابطاله وتكفير أصحابه ولعنهم وأباح دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم وأوجب لهم النار .

والقرآن من أوله الى آخره مملوء من الرد على أهله وابطال مذهبهم، قال الله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيئا ولا يعقلون*

قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) فأخبر ان الشفاعة لمن له ملك السموات والارض وهو الله وحده وهو الذي يشفع بنفسه الى نفسه ليرحم عبده فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه

فصارت الشفاعة في الحقيقة انما هي له ، والذي يشفع عنده انما يشفع باذنه وأمره بعد شفاعته سبحانه الى نفسه وهي ارادته من نفسه أن يرحم عبده ، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم ، وهي التي أبطلها الله سبحانه وتعالى بقوله (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) وقوله (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقال (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع)

وأخبر سبحانه انه ليس للعباد شفيع من دونه بل اذا أراد سبحانه رحمة لعبده أذن هو لمن يشفع فيه كما قال تعالى (ما من شفيع الا من بعد اذنه) وقال (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيع من دونه بل يشفع باذنه ، والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور ، فالشفاعة التي أبطلها شفاعة الشريك فانه لا شريك له والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له ويقول أشفع في فلان

ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة اهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه ، وهم الذين ارتضى الله سبحانه . قال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقل تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) فاخبر انه لا تحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضا قول المشفوع له واذنه للشافع ، فاما المشرك فانه لا يرضاه ولا

يرضي قوله ، فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فانه سبحانه علقها بامرين: رضاه عن المشفوع له واذنه للشافع . فلم يوجد مجموع الامرين لم توجد الشفاعة

وسر ذلك ان الامر كله لله وحده ، فليس لاحد معه من الامر شيء ، واعلى الخلق وأفضلهم واكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ، ولا يتقدمون بين يديه ، ولا يفعلون شيئا إلا من بعد إذنه لهم ، ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئا فهم مملوكون مربوبون ، أفعالهم مقيدة بأمره واذنه ، فاذا أشركهم به المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظنا منه انه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو من اجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له ويمتنع عليه . فان هذا محال ممتنع يشبه قياس الرب سبحانه على الملوك والكبراء ، حيث يتخذ الرجل من خواصهم واوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج.

وبهذا القياس الفاسد عبدت الاصنام ، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي . والفرق بينهما هو الفرق بين الخالق والمخلوق ، والرب والمربوب ، والسيد والعبد والمالك والمملوك والغني والفقير ، والذي لا حاجة به إلى أحد قط ، والمحتاج من كل وجه إلى غيره

فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فان قيام مصالحهم بهم وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم ، ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس فلحاجتهم اليهم يحتاجون إلى قبول شفاعتهم ، وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع لانهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فتنقص طاعتهم لهم ويذهبون إلى غيرهم فلا يجدون بدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضا

فاما الذي غناه من لوازم ذاته وكل ماسواه فقير اليه لذاته ، وكل من في السموات والارض عبيد له مقهورون لقهره ، مصرفون بمشيئته ، لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته والهيته مثقال ذرة . قال تعالى

(لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا إن اراد أن يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض) وقل في سيدة آي القرآن آية الكرسي (له مافي السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وقال (قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض) فأخبر ان ملكه السموات والارض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده ، وان أحداً لايشفع عنده إلا باذنه ، فانه ليس بشريك بل مملوك محض بخلاف شفاعة اهل الدنيا بعضهم عند بعض

فتبين ان الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يفعلها بعضهم مع بعض . ولهذا يطلق نفيها تارة بناء على انها هي المعروفة عند الناس ، ويقيدها تارة بأنها لاتنفع إلا باذنه. وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه فانه الذي أذن والذي قبل والذي رضي عن المشفوع ، والذي وفقه لفعل مايستحق به الشفاعة وقوله

فمتخذ الشفيع لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب وحده الهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوه ومخوفه الذي يتقرب اليه وحده ويطلب رضاه ، ويتباعد من سخطه هو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع له ، قال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاءنا عند الله * قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) فبين سبحانه وتعالى ان متخذي الشفعاء مشركون ، وان الشفاعة لا تحصل باتخاذهم ، وسر الفرق بين الشفاعتين ان شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده لا يفتقر فيها إلى المشفوع عنده لاخلقاً ولا أمراً ولا إذنا ، بل هو سبب محرك له من خارج كسائر الاسباب ، وهذا السبب المحرك قد يكون عند المحرك لاجله ما يوافقه كمن يشفع عنده في أمر يحبه ويرضاه ، وقد يكون

عنده ما يخالفه كمن يشفع اليه في أمر يكرهه ، ثم قد يكون سؤاله وشفاعته أقوى من المعارض فيقبل شفاعة الشافع ، وقد يكون المعارض الذي عنده أقوى من شفاعة الشافع فيردها ، وقد يتعارض عنده الامران فيبقى متردداً بين ذلك المعارض الذي يوجب الرد ، وبين الشفاعة التي تقتضي القبول فيتوقف الى ان يترجح عنده أحد الامرين بمرجح وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه وتعالى ، فانه ما لم يخلق شفاعة الشافع ويأذن له فيها ويحبها منه ويرضى عن الشافع لم يمكن ان توجد ، والشافع لا يشفع عنده بمجرد امتثال أمره وطاعته له. فهو مأمور بالشفاعة مطيع بامتثال الامر ، فان أحداً من الانبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها إلا بمشيئة الله وخلقه

فالرب تعالى هو الذي يحرك الشفيع حتى يشفع ، والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرك المشفوع اليه حتي يقبل ، والشافع عند المخلوق مستغن عنه في أكثر أموره ، وهو في الحقيقة شريكه ولو كان مملوكه وعبده ، فالمشفوع عنده محتاج اليه فيما يناله من النفع والضر والمعاونة وغير ذلك . كما ان الشافع محتاج اليه فيما يناله من رزق أو نصر أو غيره فكل منهما محتاج الى الآخر

ومن وفقه الله لفهم هذا الموضوع تبين له حقيقة التوحيد والشرك والفرق بين ما اثبته الله من الشفاعة وما نفاه وأبطله. ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم علم ان بين السلف وبين هؤلاء الخلوف من البعد أبعد مما بين المشرق والمغرب ، وانهم على شيء والسلف على شيء كما قيل :

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

والامر والله أعظم مما ذكرناه انتهى .

وبه كمل الجواب ، والحمد لله الذي هدانا لدينه الذي رضيه لعباده ، وما كنا

المهتدي لولا ان هدانا الله ، وصلى الله على سيد المرسلين ، وامام المتقين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليما كثيراً .

تم نسخ ذلك في ٥ رمضان سنة ١٣٤٦ ، بقلم الفقير الى الله
عبد الله بن ابراهيم الربيعي ، غفر الله له ولوالديه ولجميع
المسلمين خصوصاً أهل هذه الدعوة النجدية ، والطريقة
المحمدية ، أئمتنا ومشائخنا ، عليهم الرضوان
والرحمة ماتعاقب الملوان ، ونطقت
شفة ولسان
آمين